



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور الجلفة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط والأندلس ما بين

القرنين 02 - 09 هـ / 15-08 م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

إشراف الأستاذ:

د. قمان كمال

إعداد الطالبين:

▪ بن الصادق وليد

▪ شويحة عبد الناصر

السنة الجامعية: 2021-2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

نشكر الله عز وجل الذي بتوفيق منه وبفضل منه تمكنا من إنجاز هذه المذكرة
كما نتقدم بخاص شكرنا للأستاذ المشرف الدكتور قمان كمال على ما قدمه لنا من
دعم ونصائح وتوجيهات قيمة أسهمت في خروج هذه الدراسة في صورتها النهائية
و الشكر موصول لكل أساتذة الكلية.

اهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى أُمي الغالية أطال الله في عمرها

وإلى والدي العزيز

وإلى كل من ساهم في نجاحي من قريب أو بعيد

وخاصة المشرف قمان كمال

بن الصادق وليد

اهداء

اهدي هذا العمل

إلى والدي الكريمن حفظهما الله ورعاهما

وإلى إخوتي واخواتي

وإلى كل الأصدقاء والاحباب

وإلى كل من ساعدنا في انجاز هذا العمل من بعيد او قريب

شويحة عبد الناصر

مقدمة

مقدمة:

بدخول الإسلام لمناطق بلاد المغرب على يد الفاتحين الأوائل منذ 22 هـ إلى غاية 92 هـ وهي السنة التي تقدمت فيها الفتوحات لشبه الجزيرة الإيبيرية، وبالرغم من طول الفترة الزمنية التي واكبت الفتوحات لبلاد المغرب الإسلامي والتي تقدر بحوالي سبعين سنة، هذه النقلة النوعية لعبور مديق جبل طارق كان لها وقعها الكبير على مجريات التاريخية.

الأمر الذي ساهم بشكل إيجابي أو سلبي بين مختلف الكيانات السياسية التي ظهرت بالمنطقة خاصة بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس، على جميع الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وخلق نسيجاً متداخلاً بين الزمان والمكان، وتمازجاً سكانياً بين ساكنة العدوتين الأندلسية والمغربية، مما جعل الجناح الغربي لحوض بحر العرب زاخراً وناشطاً تجارياً وعامراً بالحركات العلمية بين المنطقتين، وسبب نجاح هذا تمايز الحضاري وحدة الدين ورسالة الإسلام ووحدة اللسان العربي.

وبهذا ورغم مرور كلا من الأندلس و المغرب الأوسط بمراحل تاريخية برزت خلالها إمارات متتالية تميزت علاقتها بالتقاربات و التجاذبات فكان أحيانا تتسم علاقاتهم بالتقارب و أحيانا أخرى بالتوتر، إلا أن ذلك لم يمنع من استمرار التواصل الحضاري على طول قيام الإمارة الإسلامية بالأندلس.

إن دراسة العلاقات الحضارية بين الأندلس و المغرب الأوسط ، من شأنه أن يسهم في كشف الغموض عن بعض التأثيرات المتبدلة بينها وهذا رغم استقلال المغرب الأوسط عن الأندلس ورغم وجود بحر فاصل بينهما، إلا أن الإشعاع الفكري و الحضاري ظل مستمرا إلى نهاية الوجود العربي.

ولعل بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس عبر مراحل من تاريخهما الحضاري لم تنفكا عن تواصلهما المتبادل، وهذا بالرغم من وقوع بلاد المغرب الإسلامي فريسة في يد العبيديين الشيعة، ومحاولاتهم ضرب الوحدة المذهبية في المنطقة عامة مطلع القرن الثالث هجري، إلا أن الإشعاع الفكري وتواصل الحضاري بقي على حاله متألقاً لقرون لاحقة بعد التخلص من تلك محاولات اليائسة للعبيديين، وعليه إتقت رغبتني الشخصية واقتراحات المشرف الدكتور **قمان كمال** ، وتشجيعا

منه على خوض في مجال الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية، وفي هذا السياق جاءت دراستنا هذه لتتناول العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط والأندلس من القرن الثاني الى القرن الثامن 2-8 هـ ، وتميط اللثام عن الجوانب المختلفة للموضوع ضمن الإطار الزمني المحدد السالف الذكر .

من خلال هذا العمل أود أن أطلع على الموضوع من عدة زوايا حسب رأيي ظلت غير مستوفاة بما يكفي من خلال الدراسات التي اطلعت عليها، وكذلك رغبتني في الخروج عن تلك الدراسات المستهلكة خاصة السياسية منها، وهذا ما تتجه إليه الدراسات الحديثة في تاريخ المغرب الإسلامي وترفع لوائه عدة جامعات منها جامعتنا الموقرة.

كذلك الوقوف على موضوع دراستنا وتعرف على طبيعة العلاقات الحضارية والثقافية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس عبر مراحل القوة والضعف خاصة ما رافق ذلك في بلاد الأندلس عبر تاريخها الطويل .

محاولتنا الكشف والوقوف على حقيقة المظاهر المتنوعة لتلك العلاقات الحضارية التي قد تكون ربطت بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس، ومدى تأثير الطرفين على بعضهما البعض حضاريا وثقافيا .

كذلك محاولتنا الوقوف على حقيقة حجم الإنتاج المعرفي لعلماء بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس ومدى تميز الطرفين في ذلك الانتاج الفكري والثقافي ورقبه على المستوى العالم الاسلامي، وتسرب تلك المعارف الحضارية عبر بلاد الاندلس للعالم الغربي .

معرفة سبل التواصل المعرفي بين علماء بلاد المغرب الأوسط والأندلس من خلال الرحلات التي قد تكون حدثت بين طرفين، ومدى التسهيلات الحاصلة في حواضر البلدين لإقامة حلقات التدريس في جوامع ومدارس، ومدى نشاط التعليمي وتبادل المعرفي لنهوض بالتعليم ومدى إختلافه إن وجد .

الرغبة في الإطلاع على تجربة بلاد المغرب الأوسط والأندلس طيلة ثمانية قرون من التواصل الثقافي، وتأثير التاريخ المشترك بين الطرفين في تطوير تلك صلة بين سكان على غرار التبادلات التجارية، ومدى تعديها لتجربة الحضارية والعلمية بحكم التاريخ المشترك ووحدة اللغة والدين والمذهب المالكي الجامع للمنطقة بكاملها .

أولاً: أسباب اختيار الموضوع

أما عن دوافع اختيارنا لهذا الموضوع فقد جاء نتيجة جملة من العوامل حيث يكمن الغرض من الدراسة في معرفة العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس وذلك باستعراض طبيعة العلاقات مظاهرها المختلفة ومعرفة علاقات التأثير والتأثر المتبادلة بين المغرب الأوسط والأندلس في العهد الأموي وعصر ملوك الطوائف، ويمكن إيجاز أسباب اختيار الدراسة للموضوع في ما يلي:

- الكشف عن النتائج العلمي للمغرب الأوسط والأندلس الذي حدث نتيجة وجود علاقات التواصل الثقافي، مثله انتقال العلماء بين المغرب الأوسط و الأندلس بشكل أساسي في تلك الفترة، التي احجمت الدراسات عن التعرض لها.

- إتمام حلقة يمكن عدها مفقودة تتعلق بتاريخ المغرب الأوسط لم يتم التطرق إليها والتي تتمثل في العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس مع توفر المادة العلمية وتنوعها وهذا بعد الاطلاع على الدراسات السابقة والوقوف عليها.

- الرغبة في المساهمة ولو بالقدر القليل في تاريخ المغرب الأوسط والأندلس باعتبارهما يشكلان وحدة جغرافية وبشرية وثقافية لها جذور تاريخية تعود إلى الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس والتركيز على العلاقات الثقافية لأن الثقافة كل مركب يشمل ما يعرفه المجتمع ويعيشه، وعلى ضوء العلاقات الثقافية يمكن معرفة دور المجتمع في تلك الفترة ومدى مساهمته في إثراء وبناء المعرفة الإسلامية.

_أسباب ذاتية تتمثل في البحث في هذا الموضوع.

_ورغبتني الجامعة في الاستفادة من هكذا المشاريع بحثية.

_وهذا ما أوصاني به المشرف الذي له الفضل في اختيار الموضوع.

ثانياً: إشكالية الموضوع

إن دراسة موضوع العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط و الأندلس يطرح إشكالية

رئيسية صياغتها في التساؤلات الأساسية الآتية:

ما طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية التي جمعت الطرفين؟

ثالثا: هيكل الموضوع

وللإجابة عن هذه التساؤلات المتعددة لذا قسمنا الموضوع إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول الذي جاء بعنوان الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط والأندلس ما بين القرنين 02

- 09 هـ/08-15م وندرج تحته ثلاث عناصر وهي :

أولا: أصل التسمية والتحديد الجغرافي للإقليمين

ثانيا: الوضع السياسي للمغرب الوسط ما بين القرنين 02 - 09 هـ/08-15م

ثالثا: الوضع السياسي للأندلس ما بين القرنين 02 - 09 هـ/08-15م

اما بالنسبة **الفصل الثاني** كان بعنوان العلاقات الاقتصادية والعلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط

والأندلس حيث تطرقنا فيه إلى ثلاث عناصر وهي:

أولا: العلاقات الاقتصادية بين المغرب الأوسط والأندلس

ثانيا : العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس

ثالثا : العلاقات الدينية بين المغرب الأوسط والأندلس

واخيرا **الفصل الثالث** بعنوان العلاقات السياسية و العلاقات الاجتماعية و الهجرة بين المغرب

الأوسط و الاندلس وتناولنا فيه ايضا ثلاث عناصر وهي :

اولا : العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط و الاندلس

ثانيا : العلاقات الاجتماعية بين المغرب الأوسط و الاندلس

ثالثا : الهجرة الأندلسية اتجاه المغرب الأوسط

وختمنا عملنا بخاتمة التي كانت عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات المستخلصة من دراسة هذا

الموضوع.

رابعا: منهجية الدراسة

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي وذلك بتتبع المراحل التاريخية التي مرت بها

العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط و الأندلس .

خامسا: صعوبات البحث

من الصعوبات التي واجهتنا في إعداد البحث والتي حاولنا تخطيها:

تحديد التاريخ أي من القرن 2هـ الى القرن 8هـ التي تتطلب قراءة جيدة وتمحيص لفهم الدراسة من

كل النواحي السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والدينية .

سادسا: المصادر والمراجع

تم الاعتماد في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع المتنوعة من كتب تراجم وتاريخ وكتب رحالة وبحكم أن طبيعة البحث تتعلق بالجانب الثقافي فقد أخذت كتب التراجم حصة الأسد منها، هذا إلى جانب المراجع التي أشارت إلى جزئيات البحث وهي مرتبة حسب الأهمية.

كتب التراجم:

- 1/ ابن بشكوال خلف بن عبد الملك، كتاب الصلة، وقد استفدنا منه في ترجمة الكثير من العلماء الرحالة الأندلسيين الذين حلوا بالمغرب الأوسط والعكس.
- 2/ ابن الأبار القضاعي البلنسي، في كتابه التكملة لكتاب الصلة حيث ساعدنا كثيرا في تراجم علماء المغرب الأوسط والأندلس وأهم تنقلاتهم بين القطرين.
- 3/ الضبي أحمد بن يحيى بن عميرة، صاحب كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس وهو عبارة عن تراجم علماء أندلسيين أفادنا كثيرا في ترجمة بعض العلماء الأندلسيين.
- 4/ لسان الدين بن الخطيب ،صاحب كتاب كناسة الدكان بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة و المغرب في القرن الثامن الهجري ، كتاب ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب وكتاب اللمة البدرية في الدولة النصرية.
- 5/ ليفي بروفنسال، صاحب كتاب الحضارة العربية في إسبانيا، وحضارة العرب في الأندلس.
- 6/ محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار ، صاحب كتاب التكملة لكتاب الصلة.
- 7/ ابن الخطيب، صاحب كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، وكتاب تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، وكتاب الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ،وكتاب اللمة البدرية في الدولة النصرية.

الفصل الأول: الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط والأندلس ما بين القرنين 02 - 09 هـ/08-15م

أولاً: أصل التسمية والتحديد الجغرافي للإقليمين

ثانياً: الوضع السياسي للمغرب الأوسط ما بين القرنين 02 - 09 هـ/08-15م

ثالثاً: الوضع السياسي للأندلس ما بين القرنين 02 - 09 هـ/08-15م

أولا : أصل التسمية والتحديد الجغرافي للإقليمين

1- أصل التسمية والتحديد الجغرافي للمغرب الأوسط

أ- أصل تسمية المغرب الأوسط

لفظ المغرب يشمل كل ما يلي مصر غربا ويقسمه إلى قسمين شرقي ويشمل برقة وإفريقية وتاهرت وطنجة والسوس وزويلة، وغربي وهو الأندلس، وإذا كان هناك من يدخل الأندلس في المغرب فإننا نجد أيضا من يدخل مصر كذلك في المغرب على اعتبار أن المغرب ما يقابل المشرق من البلاد، فهو يشمل¹ ومع ذلك صقلية وكل بقعة حل فيها المسلمون في أوروبا الغربية، ثم إذا أرادوا تحديد جزء من الكل قالوا: برقة القسم الشرقي من ليبيا الحالية وطرابلس القسم الغربي منها.

وقالوا إفريقية لتونس الحالية مع الناحية الشرقية من القطر الجزائري، وقالوا المغرب لما يلي ذلك من إفريقية الشمالية، وعندما أخرج المسلمين من الأندلس صار لفظ المغرب يطلق على القطر التونسي ويسمى المغرب الأدنى، وعلى القطر الجزائري ويسمى المغرب الأوسط، وعلى القطر المغربي ويسمى المغرب الأقصى، ثم صار المغرب الأدنى يسمى تونس، والأوسط الجزائر والأقصى المغرب دون نحت ولا وصف².

لقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد مدلوله، فجعله البعض يشمل بلاد شمال إفريقيا بالإضافة إلى الأندلس وجميع الممتلكات الإسلامية في بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط ثم صقلية وجنوب إيطاليا³ وجزيرة سردينية، وقد اعتبر بعض المؤرخين مصر من بلاد المغرب باعتبارها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية لهذه المنطقة المغربية في الفترة الإسلامية الأولى.

بلاد المغرب حسب ما اصطلح عليه جغرافيا الى ثلاثة أقسام نضرا لبعدها على الخلافة

الإسلامية بالمشرق وهي :

1 - محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، الإسكندرية، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، د.ط، 1990، ص5-6.

2 - أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1911، ص18.

3 - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دار المغرب والأندلس، جامعة القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، د.ط، ص 12.

المغرب الأدنى : يمتد من برقة شرقا إلى بجاية غربا تم اتخاذ القيروان حاضرة له في أيام عقبة بن نافع وظلت حتى عهد الأغالبة وقد حولت للمهدية زمن العبيديين الشيعة ولم آل الأمر للحفصيين أتخذو من تونس حاضرة لهم.

المغرب الأقصى : يمتد من هر ملوية شرقا إلى سواحل بحر الظلمات غربا ومن العدو المغربية شمالا إلى بحر الرمال الفاصل بين السودان الغربي واتخذت فاس حاضرة للأداسة ومراكش حاضرة المرابطين والموحدين وفاس مرة أخرى حاضرة بني مرين.¹

المغرب الأوسط : محصور بين المغربين الأدنى والأقصى شمال يحده بحر الغرب وجنوبا بحر الرمال الفاصل بين السودان الاوسط والغربي اتخذ الرستميون تاهرت حاضرة لهم فيه ومن بعدهم بني زيري حلفاء العبيديين من أشير حاضرة لهم وبني حماد القلعة وتلمسان حاضرة بني زيان ، وتعتبر تلمسان قاعدة المغرب الأوسط وهي دار مملكة زناته ومتوسطة قبائل البربر ومقصد التجار.

2

ب-التحديد الجغرافي للمغرب الأوسط

تعتبر بلاد المغرب الأوسط منطقة جغرافية اختلف الرحالة و المؤرخون في ضبط حدودها خلال الفترة الوسيطية، فهي إشكالية يجد الباحث نفسه أمامها نظرا لعدم استقرار حدودها على وضع معين³ ، بسبب ديمومة حركة القبائل المستمرة ، بالإضافة الى حالة القوة و الضعف للدول المتعاقبة على بلاد المغرب الأوسط و تسخير واستثمار خدمة القبائل لأهدافها السياسية و العسكرية و الاقتصادية و المذهبية.⁴

ويشير ابن خلدون لأوضاع المغرب الأوسط على أنه بلد قبائل زناته والتي استقرت في الأقاليم الواقعة بين منطقة الزاب شرقا إلى منطقة واد ملوية غربا وقاعدته تلمسان ، وهو الوادي

1 - احمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، د.ط، د.ت، ص 220.

2 - إسماعيل ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، ط، 2001 ص76-77.

3 -خالد بلعربي ، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، الجزائر ،دار الألمعية للنشر والتوزيع ، 2011،ص 65 .

4 -الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 هـ، الجزائر، دار الهدى، 2004، ص 29.

المعروف قديما "ملوثة"، وهي حدود ثابتة تقريبا من الغرب¹، ومن جهة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومنتجة والمدية الى بجاية².

وهذا مانجده عند البكري (ت417هـ/ 1094م) في كتابه المسالك والممالك مدلول المغرب الأوسط على أساس قبلي باعتبار تمركز أكبر قبيلة بربرية الزناتة بهذه النواحي خاصة تلمسان التي ذكرناها قاعدة المغرب الأوسط³، في حين إن الإدريسي (ت 548هـ/ 1159م) اعتبر تلمسان قفل بلاد المغرب الأوسط⁴ وأن بجاية قاعدته⁵.

أما حدود المغرب الأوسط من جهة الشرق وبرقة وإفريقية وتاهرت وطنجة و السوس و زويلة⁶.

في حين اعتبر المراكشي (ق 6هـ /ق12م) تلمسان ووهران من جهة الغرب وباعتبار أن تلمسان قاعدة المغرب الأوسط⁷، فإن حدودها الغربية مملكة فاس حسب مارمول كريغال.

2- صل التسمية والتحديد الجغرافي للأندلس

أ- أصل تسمية الأندلس

كلمة الأندلس ليست عربية، لقد اشتقها العرب من كلمة فاندالوسيا وهو اسم مأخوذ من قبائل الفاندال الجرمانية التي استقرت في تلك المناطق الجنوبية من إسبانيا بعد هجرة طويلة من سواحل بحر الشمال، وأعطت اسمها إلى تلك البقاع قبل أن يطردها القوط من هناك، وأطلق العرب أول مرة اسم الأندلس على إسبانيا الإسلامية جميعا وعلى الجزيرة الإيبيرية كلها حين سيطروا على معظمها، ثم تقلص هذا الاسم تدريجيا مع تقلص الواقع السياسي حتى صار لا يدل على أكثر من الجنوب الإسباني، ثم أضح في النهاية مرادفا للمملكة غرناطة في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه

1 - عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، الجزائر، دار الهدى، 2014، ص 11.

2 - جودة عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين ، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 5.

3 - ابو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، دت ، ص 76.

4 - الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2006، ص161.

5 - محمد بن محمد الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي ، ص 80.

6 - أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاضطخري : المسالك و الممالك، بيروت ، دار صادر ، 2004، ص 38.

7 - عبد الواحد المراكشي :الاستبصار في عجائب الأمصار ت سعد زغلول عبد الحميد، ص176.

الجزيرة الإيبيرية، ويسمىها العرب بالجزيرة أيضا، كما يسمون شبه جزيرة العربية بالجزيرة العربية وتقع في الجنوب الغربي من أوروبا.¹

أما الجزيرة الأندلسية التي كان العرب يسمون بها هذه البلاد منسوبة إلى الأندلس، وقد كثر الكلام في أصل هذه اللفظة ولكن أرجح الأقوال أنها مشتقة من الفاندالس وهم جيل من الناس كانوا يسكنون بين النهر الأودر ونهر الفيستول، ويقال أنهم من أصل جرمانى، ويقال إن بعضهم من أصل صقلي كما تقول العرب، وهؤلاء الفاندالس زحفوا² من الشمال إلى الجنوب حتى بلغوا جبل طارق وذلك سنة 411 قبل المسيح، ومن هناك أجازوا إلى إفريقية، فلما عرفهم أهل إفريقية أطلقوا اسمهم على البلاد التي جاؤوا منها وسموا هذه البلاد بالأندلس.

فالأندلس عند العرب من بحر الزقاق إلى جبل طارق إلى جبال البرانس، وربما أطلقوا لفظة الأندلس على ما وراء البرانس من أرض الفرنجة، فأما الإسبان أنفسهم فكانوا لا يعرفون هذا الاسم قبل العرب، فكانوا يسمون البقاع الجنوبية من الجزيرة الإيبيرية بإسبانية القديمة، كما كانوا يسمون شمال إسبانية بأسمائها المختلفة مثل إستورية التي كان العرب يقولون لها أشتوريا أو أشتورياس ومثل لون وقشتالة وأراغون.

ب- التحديد الجغرافي الأندلس

أطلقت الجغرافية العربية كلمة "الأندلس"³ على شبه الجزيرة الأيبيرية⁴، ثم سميت بعد ذلك باطقة⁵، ثم سميت اشبانية في اللغة اليونانية⁶ نسبة إلى ملكها القديم الشبان . اشبان.⁷ ويذكر ابن عذارى المراكشي أن أول من نزل بالأندلس بعد الطوفان قوم يعرف بالأندلس (الوندال) واشتقت منها الأندلس⁸.

1- مصطفى شاكر ، الأندلس في التاريخ، دمشق، منشورات دار الثقافة، دار الثقافة، د. ط، 1990، ص ص 6-7.

2 - شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، بيروت، دار مكتبة الحياة، ط1، 1936، ج 1، ص6

3 - محمد عبد الله عنان جغرافية الأندلس ، والمصطلحات الجغرافية الأندلسية ، مجلة ، ص 11.

4 - على حسن الشطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس، القاهرة، دار قرار ، ص 17 .

5 - ابو عبيد البكري: المسالك و الممالك تح- جمال طلية، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط 1، 2002، ج 2، ص 378.

6 - الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 365.

7 - الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار تح-حسن عباس ، مكتبة لبنان ، ص 52.

8 -ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تح ليفي بروفنسال، بيروت ،دار الثقافة، ج 2، ص 14.

ويوافق ابن خلدون على ذلك حيث يقول أن الأندلس اشتقت من كلمة فندلس أي الوندال¹، وسميت البلاد في عصرهم فاندلوسيا (بلد الوندال)².

وأما العرب أطلقوا كلمة الأندلس على شبه الجزيرة الأيبيرية كلها، وقد كان الفتح الإسلامي يشمل سائر أرجاء شبه الجزيرة، ما عدا ركنها الشمالي الغربي الذي اعتصم به القوط³. وسميت جزيرة الأندلس بجزيرة لأنها بشكل مثلث⁴ و معظمها يقع على البحر⁵، ويحد الأندلس من الغرب المحيط الأطلسي الذي يسمى عند بعض المسلمين بالبحر الأخضر⁶ أو البحر المظلم⁷، وتطل من الجهة الشرقية و الجنوبية على البحر المتوسط والمسمى بالبحر الشامي⁸.

ثانيا : الوضع السياسي للمغرب الوسط ما بين القرنين 02 - 09 هـ/08-15م

عرف المغرب الأوسط عبر العصور الكثير من التطورات السياسية. فبعد أن كان جزءا من الدولة الإسلامية منذ أن وصل إليه الإسلام، مطلع النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، شهد قيام العديد من الدويلات التي وجدت فيه المناخ المناسب لإقامة كيانات مستقلة، بعيدة عن المخاطر التي كانت تهدد وجودها، خاصة من الدول التي انفصلت عنها في المشرق، ثم في المغرب بعد ذلك.

ومن هذه الدول، الدولة الرستمية والدولة العبيدية مرورا بالدولة الزييرية والحمادية، فالمرابطية والموحدية اللتان كانت المنطقة جزءا من مجاليهما الجغرافي، وصولا إلى دولة بني عبد الواد التي عمرت ما يفوق الثلاثة قرون.

وكنتيجة لما سبق نرى أن المغرب قد ظهرت فيه ملامح التشكل السياسي، لكن كانت الحرب والنزاع على السلطة سمته الأساسية، وكانت هذه الدويلات ومدا هي النبراس الذي على ضوءه حدد الجغرافيين هذه البلاد و قسموها و حددوا المغرب الأوسط بصفة خاصة.

وخلال فترة هذه الدراسة تداول عدد من الدول على المغرب الأوسط و هي:

1 - محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ، ص 12.

2 - احمد محمد زيتون: المسلمون في المغرب و الأندلس، 1990، ص 149

3 - محمد عبد الله عنان: المرجع السابق ، ص 11.

4 - الحميري، المصدر السابق ، ص 32.

5 - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 2، ص 17.

6 - عبد الرحمان على حجي، تاريخ الأندلس، دمشق، دار القلم، 2020، ص 19.

7 - الإدريسي، المصدر السابق ، ص 535

8 ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ، ص 200

1- الدولة الرستمية:

التي تعد أول دولة ظهرت بالمغرب الإسلامي مستقلة ومنفصلة عن الخلافة العباسية، وكان ظهورها إيذاناً لانفصال المغرب الأوسط عن المشرق و منها ظهرت الدول المستقلة في المغرب الأقصى، الدولة الإدريسية (172هـ/788م)، وفي المغرب الأدنى الدولة الأغلبية (184هـ/800م). تنتسب هذه الدولة إلى مؤسسها عبد الرحمان بن رستم الفارسي الذي سرعان ما قوي أمره بفضل جهوده، بعدها نزل بجماعة بأرض اختار منها موقعا مربعا، كان ملكا لقوم مستضعفين على سفح جبل يدعى جزول، و اتفق معهم بأن يبيعوا لأتباعه بنيان المساكن مقابل أن يأخذوا الخراج من الأسواق، و لذلك وقع الاختيار على تيهرت عاصمة للدولة دليل على معرفة عبد الرحمان بموقع المنطقة فهي بعيدة عن القيروان يفصل بينهما منطقة الزاب و جبل الأوراس، هي مدينة في الداخل مما جعلها في مأمن من ضربات الأساطيل البيزنطية.

وقد اتسم نظام حكمهم في البداية بالبساطة الشديدة، واتخذ الحاكم لنفسه لقب إمام، والفترة الأولى هي الفترة التي شهدت الاستقرار السياسي، الاقتصادي والاجتماعي حتى الوصول إلى خلفاء الإمام أفلح، بعده بدأ عهد الأئمة الضعاف.

وعرفت الدولة بشساعة مساحتها، وبالتالي أصبحت تسيطر على منطقة زراعية خصبة، هذا ما جعلها كثيرة المزروعات من الحبوب، والفواكه، بالإضافة إلى صناعاتها المتعددة، منها صناعة الحلي .

وانهارت على يد العبيديين حيث اغتيل اليقضان بن أبي اليقضان، آخر الأئمة الرستميين سنة 296/909م، فانهارت بذلك الدولة الرستمية، قبل أن يتم القضاء على الأغلبية في نفس السنة.

2- المغرب الأوسط في عهد الدولة العبيدية:

استطاع العبيديون¹ إقامة دولة خاصة بهم في المغرب الإسلامي ، بعد أن تعذر عليهم تحقيق ذلك بموطن دعوتهم بالمشرق، بسبب وجود مقر الخلافة العباسية هناك.

¹ -- العبيديون: هم أول من أسس دولة شيعية بالمغرب الإسلامي. عرفوا بعدة تسميات منها الفاطميون نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن هذا النسب ما يزال محل اختلاف بين المؤرخين إلى يومنا هذا. كما سمو بالعبيديين نسبة إلى عبيد الله المهدي، الذي تزعم الدولة بعد نجاح أبي عبد الله الشيعي في إقناع قبيلة كتامة البربرية بدعوتهم. ينظر: ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت، دار الثقافة، 1968، ج3، ص82.

ويعود نجاحهم في مسعاهم هذا، إلى دعواتهم الوافدين من المشرق الإسلامي، وفي مقدمتهم أبو عبد الله الشيعي¹، حيث مهدوا لنشر دعوتهم بالاتصال بأهل كتامة، بمكة أثناء موسم الحج سنة 279هـ/893م.

أعجب الكتاميون بالشييعي الذي نجح في استقطابهم، مستغلا تذمر الناس من سياسة الأغلبية من جهة، وسذاجة البربر وبساطتهم من جهة أخرى، فرافقهم في رحلة العودة إلى بلادهم، واطلع خلالها على الوضع السياسي والاجتماعي السائد في وجهته.

كما كشف لهم عن نيته في مزاوله مهنة التعليم في مصر، فغاب عنهم لبعض الوقت، قبل أن يظهر ثانية ويصرح لهم بأنه لم يجد مراده، فأصروا على صحبته لهم.² أخفي حامل الدعوة الشيعية مذهبه في بداية الأمر، وتظاهر بأنه مجرد معلم للقرآن الكريم، قبل أن يختلي بأحد كبار أعيان قبيلة سكتان ويخبره بحقيقة أمره بقوله: لست بمعلم صبيان، وإنما نحن أنصار أهل البيت.

وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة بأنكم أنصارنا والمقيمون لدولتنا، وأن الله سيظهر بكم دينه ويعز بكم أهل البيت، وأنه سيكون إمام منهم وأنتم أنصاره والباذلون مهجتهم دونه، وأن الله سيفتح بكم الدنيا كلها، ويكون لكم أجركم مضاعفا فيجتمع لكم خير الدنيا والآخرة. اقتنع الشيخ الكتامي بهذه الدعوة، وصار يدعو أقاربه إليها، وبهذا استطاع الشيعي استمالة قلوب الكتاميين إليه، حيث راح يشيد بفتح الأخيار وأهله، فالتفوا حوله، وأقبلوا على دعوته، بل تعهدوا بالإخلاص للمذهب الشيعي والدفاع عنه، وانتشرت دعوته في مختلف أرجاء أرض كتامة، حيث لم يبق فيها إلا من يدخل دعوته إما راغبا أو راهبا أو مخذولا.

وبعد عشرين سنة قضاها بين الكتاميين وهو يهيب الأجراء للدعوة العبيدية، استقدم عبيد الله المهدي إلى المنطقة، فبوع في رقادة بتاريخ 21 ربيع الأول من سنة 297هـ، ولقب بأمير

11 -- أبو عبد الله الشيعي: هو الحسن بن أحمد بن محمد، عرف بالمحتسب لقيامه بهذه الوظيفة في سوق الغزل بالبصرة. كما عرف بالصوفي لارتدائه الثياب الخشنة، والصنعاني نسبة إلى مسقط رأسه صنعاء باليمن، والمعلم لقيامه بتعليم مذهب الإمامية الباطنية، خرج مع قافلة الحجاج اليمنيين إلى مكة سنة 279هـ/893م، قبل أن يكلف بالتوجه إلى المغرب لنشر الدعوة، تمهيدا للاستيلاء على الحكم بمساعدة قبيلة كتامة. ينظر: ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983، ج1، صص 124-127.

22 - ابن عذاري، مصدر سابق، ج 1، ص 125.

المؤمنين.¹ وقد تم ذلك بعد القضاء على الحكومات الإسلامية التي كانت قائمة في المغربين الأدنى والأوسط، والتي تعتبر في نظر الشيعة مغتصبة للخلافة الإسلامية؛ حيث اغتيل اليقضان بن أبي اليقضان، آخر الأئمة الرستميين سنة 296/909م، فانهارت بذلك الدولة الرستمية، قبل أن يتم القضاء على الأغالبة في نفس السنة.

قسم المغرب الأوسط أيام الحكم العبيدي إلى أربع ولايات هي: المسيلة التي اشتملت على زناتة والحضنة وسطيف، وباغاية التي ضمت ضواحي عنابة، وقالمة وسطيف، وأشير التي اشتملت على أراضي صنهاجة وما جاورها من زواوة وزناتة، وتيهرت التي ضمت مواطن مغراوة ما بين مليانة ومارونة.³

وقد عاشت المنطقة التي انطلقت منها الدعوة العبيدية صراعات طويلة الأمد بين أنصار الشيعي ومناوئيه من جهة، وبين العبيديين والخوارج من جهة ثانية؛ لينتهي الأمر لصالح الشيعة الذين قضوا على الرستميين والأغالبة سنة 296 هـ، والأدارسة سنة 313 هـ، قبل أن يشتد الصراع بينهم وبين الأمويين في الأندلس.

لكن هذه الانتصارات لم تحل دون عودة العبيديين إلى المشرق، حيث كانت نيتهم منذ البداية تأسيس كيان خاص بهم بعيدا عن مقر الخلافة العباسية، ثم الزحف نحوها والقضاء عليها؛ فكانت محطتهم الأولى مصر بعد أن أسسوا القاهرة واتخذوها عاصمة لهم، حيث دخلها الخليفة العبيدي المعز لدين الله في 05 رمضان 362 هـ، ثم توجهوا إلى الشام والحجاز.⁴

3- المغرب الأوسط في عهد الدولة الصنهاجية (الزيرية):

استعان العبيديون بالصنهاجيين للقضاء على نفوذ حكام الأندلس الأمويين. ورغبة من المعز الدين الله الفاطمي في مكافأة صنهاجة على صنيعها، عين زعيمها بلكين بن زيري أميرا على المغرب وأطلق عليه سيف الدولة، وزوده بمجموعة من النصائح أبرزها أربع، حيث قال له: "إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنسى أربعة أشياء: إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية، والسيف عن

1 - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ص 35.

2 - عمار بوحوش، المرجع نفسه، ص 35.

3 - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية، 1965، ص 285.

4 - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص 35-36.

البربر، ولا تولي أحدا من إخوانك و بني دمك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيرا.¹

حكم بلكين بن زيري المغرب الأوسط باسم العبيديين، ووسع ملكه إلى غاية فاس، قبل أن توافيه المنية سنة 373هـ. خلفه ابنه المنصور بن بلكين، الذي أصبحت الدولة الصنهاجية قوية في عهده، حيث تغلبت على كتامة سنة 380هـ، وانتزعت منها سطيف و ميله، وبعد أن توفي سنة 386هـ، تولى زمام الحكم ابنه باديس الذي سماه العبيديون نصير الدولة.² ميزت الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط في عهد باديس بكثرة الصراعات وعدم الاستقرار.

فقد شعر هذا القائد بازدياد خطر قبيلة زناتة المدعومة من بني أمية في الأندلس، وبأن الرعية سئمت من الدعوة للعبيديين، الذين كانوا فيما يبدو يحرضون الكتاميين عليهم؛ الأمر الذي أرغمه على مخالفة وصية المعز لدين الله الفاطمي لجدّه بلكين بعدم تولية أقاربه، إذ قرر الاستعانة بعمه حماد للقضاء على خطر دولة زناتة، مقابل توليه المغرب الأوسط وخضوع كل المناطق التي يسيطر عليها لسلطته. وقد استطاع حماد أن يقضي على زناتة سنة 395هـ/ 1005م، ثم بنى القلعة سنة 398هـ/ 1007م، قبل أن يعلن عن تأسيس دولته الحمادية سنة 405هـ/ 1014م، ويعترف بالعباسيين بدل العبيديين؛ لتتقسم بذلك الدولة الصنهاجية إلى شرقية وغربية.³

وبعد صراع في البيت الصنهاجي بين باديس وعمه حماد، وإثر وفاة باديس الذي خلفه ابنه المعز، اتفق الطرفان على إقامة بني باديس في القيروان، وبني حماد في القلعة قرب بجاية. وبتوقف المعز عن الدعوة للعبيديين وبداية الدعوة للعباسيين سنة 440 / 1048م، أوعز العبيديون لبني هلال باجتياح المنطقة سنة 442هـ/ 1050م، ففضوا على الزيريين بالقيروان، ثم شددوا الخناق

¹ - عبد الرحمن بن محمد الجبالي، المرجع السابق، ص 324.

² - عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائريين، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، 1991، ص 40-42.

³ - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 37-38.

على دولة بني حماد إلى أن سقطت سنة 547 هـ/1253م، بعد اقتحام الموحديين للقلعة بمساعدة الوزير ميمون بن حمدون،¹ الذي يبدو أنه كان يرغب أن يكون وزيراً لدى عبد المؤمن بن علي².

4- الدولة الحمادية:

التي تنتسب إلى مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري، وهي تعتبر الدولة الثانية بعد الدولة الرستمية، التي قامت بالمغرب الأوسط، فكانت أكثر فاعلية وأكبر تأثير، بسبب عاصمتها التي كانت قاعدة محصنة ذات الإشعاع السياسي الاقتصادي ألا وهي قلعة بني حماد فشرع في إنشائها سنة (398 هـ/1007م) / (460 هـ/1067م).

أقر باديس بن المنصور (387 - 406 هـ/997 - 1016م) عمه حماد بن بلكين على ولايته وعهد إليه أمر قتال زناتة التي ثارت ثانية عام 396 هـ/1005م، وشرط له ولاية أشير والمغرب الأوسط وكل بلد يفتحه، بذل حماد جهداً كبيراً في محاربة الزناتيين والقضاء على تمردهم، ثم شرع ببناء مدينة القلعة عام 398 هـ/1007م قرب مدينة أشير وشمال شرقي مدينة المسيلة، وشيد بنيانها وأسوارها وأكثر فيها المساجد والفنادق، فرحل إليها طلاب العلوم وأرباب الصنائع من الثغور والبلاد البعيدة.

وفي عام 405 هـ أعلن حماد استقلاله، ثم اصطلح سنة 408 هـ مع المعز لدين الله، و ذلك بعد عشر سنوات من العمل على تحقيق شخصية دولته.

حيث عمل حماد على توطيد دعائم الدولة واتساع ملكه، و استقرار إدارته على أسس متينة، و ذلك بتقريبه لرجال الفكر والعلم والدولة من مجلسه، إضافة إلى أنه يزيد من التوسع العمراني والزراعي، وشجع على الهجرة إليها.

قال لسان الدين بن الخطيب في الأعلام: "كان حماد نسيج وحده وفريد دهره وفحل قومه، ملكاً كبيراً وشجاعاً ثباتاً وداهية حصيماً، قد قرأ الفقه بالقيروان ونظر في كتب الجدل " وهكذا أحسن حماد الدفاع عن ممالكه حتى أورث عقبه ملكاً نافسوا به بني عمهم أصحاب أفريقية. وأصبحوا أقوى منهم وأملك للباس.

¹ - ميمون بن حمدون كان وزيراً في عهد الأمير يحيى بن العزيز الحمادي، آخر أمراء بني حماد. ينظر: عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 38.

² - هو عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي المغربي، خليفة محمد المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية. ولد بتاجرا سنة 487 هـ. يعتبره البعض المؤسس الحقيقي للرئيسي للدولة. ينظر: الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمز)، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004، ج 1، ص ص 2557-2559.

ولكن بني باديس كانوا أرقى حضارة وأقعد بالسياسة. وإنما تأسست الدولة الحمادية باقتحام الأخطار ومساعدة الأقدار.

وكان حماد يعيش معيشة بسيطة يحكم بنفسه بين رعيته، و بذلك انقسمت دولة الصنهاجيين إلى دولتين: الأولى كانت دولة آل المنصور بن بلكين أصحاب القيروان، والثانية هي دولة آل حماد بن بلكين أصحاب القلعة الذين توارثوا الحكم و كانت القلعة هي العاصمة الأولى حتى عهد المنصور ثم بجاية هي الثانية فيما تبقى من عهد الدولة¹.

وقد أرخ حكم بنو حماد المغرب الأوسط من سنة (408هـ_1018م) / (547هـ_1152م) وكانت الأوضاع السياسية مضطربة جدا بسبب التنافس في البيت الحمادي على اعتلاء السلطة. وكان هؤلاء السلاطين مستقلين، اقتصرت ألقابهم على السلطان أو الأمير وقد منحت هذه الدولة الجيش اهتماما كبيرا خاصة البري منه، وكذلك الأسطول الذي كان أسطولا عظيما في أول القرن السادس الهجري لأنه حال دون اهتمام النورمان للشواطئ التابعة للحماديين.

5- المغرب الأوسط في عهد دولة المرابطين:

إن أهم ما ميز الساحة السياسية بإفريقية مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، هو انقسام دولة صنهاجة إلى إمارتين هما: الإمارة الزيرية بالجهة الشرقية، ونظيرتها الحمادية في الغرب.

كما تواصل الصراع الزناتي الصنهاجي الذي لم تقل حدته إلا بظهور خطر الهلاليين، الذين بعث بهم العبيديون لردع الزيريين بعد أن أوقفوا تبعيتهم لهم.

في هذه الأثناء، بدأت غارات المرابطين بجنوب المغرب الأقصى، ليصل نفوذهم فيما بعد إلى المغرب الأوسط والأندلس. وينتمي المرابطون إلى قبائل بربرية أشهرها صنهاجة التي كانت مستقرة بأعماق الصحراء في موريتانيا.

وكانت تنفر عن صنهاجة قبائل عديدة أطلق عليها اسم الملتمين، أشهرها لمتونة ومسوفة وجدالة. وقد ارتدت هذه القبائل اللثام إما اقتداء بأسلافهم الذين تلتثموا لشدة الحر، أو تمويها من أهل الكفر لكونهم كانوا قلة أمنت بالرسول صلى الله عليه وسلم، ولارتداء نسائهن ملابس الرجال ووضع اللثام في غياب أزواجهن عن المعسكر، إيهاما للعدو بأنهن رجال.

¹ عبد الحليم عويس، مرجع سابق، ص 502.

تأسست دولة المرابطين على يد عبد الله بن ياسين، ليتولى أمرها بعده يوسف بن تاشفين،¹ الذي انتقلت الدولة في عهده من طور النشأة إلى طور التوسع والازدهار. حمل المرابطون مسؤولية الكفاح المسلح ضد النصارى في الأندلس، بعد أن بسطوا سلطتهم على جزء كبير من المغرب، حيث تمكنوا من السيطرة على مدينة تلمسان سنة 472هـ/1079م، ثم تخطوا منها إلى وهران سنة 473هـ/1080م، وتابعوا زحفهم ليشمل مدنا كثيرة بالمغرب الأوسط، لينطلقوا بعدها نحو الأندلس بغرض الوقوف في وجه زحف النصارى والقضاء على الانقسامات الخطيرة وإتمام الوحدة،² خاصة وأن الجبهة النصرانية بدأت توجه الضربات للمسلمين بالأندلس في دور جديد عرف: بعمليات الاسترداد،³ مما أدى إلى سقوط عدد من مدن وقواعد الأندلس بيدهم،⁴ في الوقت الذي عجز فيه هؤلاء الأمراء عن صد ذلك العدوان نتيجة ضعف قواهم، وأمام هذا الوضع شعر ملوك الطوائف بخطورة الموقف خاصة منهم المعتمد بن عباد، فقرروا اللجوء للمرابطين، والاستعانة بهم، وذلك سنة 467 هـ/1074 م، وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين،⁵ بعد وصول الأخبار الأندلس بتنامي قوة سياسية ودينية بالمغرب منبعثة من أقاصي الصحراء، يعرف أصحابها بالمرابطين لتبنيهم مبدأ الجهاد والمرابطة في سبيل الله،⁶ فكان أول اجتياز لهؤلاء المرابطين نحو الجزيرة الخضراء عام 479هـ/1086م، حيث تلقاهم المعتمد،⁷ واجتمعت جيوشه معهم في

-
- 1 - هو المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين، ينتمي إلى قبيلة لمتونة الصنهاجية. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج 4، ص ص 21-25.
- 2 - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط 2، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1982، ص 604.
- 3 - عن أهم عمليات الاسترداد. أنظر: ابن بسام (أبو الحسن علي الشنتري)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1997، مجلد 4، قسم 1، ص 132.
- 4 - ابن بسام، الأخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مجلد 4، قسم 1، ص 126.
- 5 - ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي)، الرد على ابن النغزلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق: إحسان عباس، د. ط، دار العروبة للنشر، القاهرة، د. ت، ص 176-196.
- 6 - محمد ولد دادة، مفهوم الملك في المغرب من الفتح حتى انتصاف القرن السابع الهجري، د. ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1977، ص 114.
- 7 - - يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: عبد الله عنان، ط 3، ج 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1958، ص 74.

موقعة الزلاقة الشهيرة في نفس السنة وتقابلت مع جيوش النصارى غرب الأندلس من إقليم بانتليوس وأحرز المسلمون فيها النصر.¹

ومن انعكاسات الأوضاع السياسية خلال هاته الفترة أيضا على مسار العلاقات بين البلدين هو نظرة الأندلسيين للمرابطين خاصة، والبربر الوافدين معهم عامة، والتي كانت نظرة احترام وتبجيل، إذ اعتبروهم مخلصيهم من ظلم ملوك الطوائف وكثرة ضرائبهم، وقسوة عمالهم، زيادة على هزمهم للنصارى في الزلاقة،² وهذا يوحي بأن أغلب الأندلسيين كانوا راضين عن هذا التوحد السياسي الذي جمعهم بالمغرب في ظل حكم المرابطين؛³ حتى أنهم أظهروا إعظاما ليوסף بن تاشفين، ونشأ الود في صدورهم، بل أن قلوب أهل الأندلس قد أشربت حب يوسف وأصحابه على حد تعبير صاحب المعجب.⁴

وبهذا فإن التوحد السياسي ستعكس آثاره على توثيق العلاقات والصلات بين المغرب الأوسط والأندلس على عهد المرابطين، وسيفتح ذلك المجال الانتقال مختلف أشكال التأثير والتأثر، مما يساعد على خلق جانب من الاحتكاك بين المجتمعين المغاربي والأندلسي، سواء من حيث الحجرات أو الانصهار، وستستمر حركة التأثير على شتى المستويات طيلة فترة حكم المرابطين للمغرب والأندلس أي العدوتين معا.

6- المغرب الأوسط في عهد الدولة الموحدية:

تأسست الدولة الموحدية على يد محمد بن عبد الله بن تومرت، الذي ينحدر من هرغة إحدى فروع قبيلة مسمودة في السوس الأقصى. بدأ مشواره الدراسي بمسقط رأسه، قبل أن يقوم برحلات لطلب العلم بالأندلس ثم المشرق أين التقى بالكثير من العلماء منهم أبي حامد الغزالي.⁵

1 - ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، ط 1، ج7، دار صادر، بيروت، 1972، ص116

2 - محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن 05 هـ/ 11م، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص 248.

3 - ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 160-163.

4 - المراكشي، عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2006، ص 98.

5 - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، بيروت، 1968، ج5، ص46.

كما كان له اتصال بالمدارس الفكرية بالمشرق كالأشاعرة والشيعية والمعتزلة، فضلا عن اطلاعه على الأحوال التي كانت تميز العالم الإسلامي آنذاك، والتي كانت تنذر بقرب انهيار بعض الإمارات كالحمادية بالمغرب الأوسط، والمرابطية بالمغرب الأقصى، مما شجعه على التفكير في مشروع إقامة دولة إسلامية قوية.¹

كانت انطلاقة مشروع الموحدين من المغرب الأوسط، حيث حل المهدي بن تومرت بقسنطينة؛ ليتجه بعد ذلك إلى بجاية، فنزل بمسجد الريحانة أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، قبل أن يبني مسجدا في ملالة² جنوب بجاية، فكان لقاءه هناك بعبد المؤمن بن علي، الذي كان في طريقه إلى المشرق رفقة عمه، فأقنعه بأن يرافقه في مسيره نحو المغرب الأقصى، حيث مروا بمتيجة ومليانة والونشريس، ثم الشلف فتلمسان وصولا إلى وجدة.³

بعد وفاة المهدي، انتظر عبد المؤمن بن علي ما يقارب العشر سنوات، قضاها في الاستعداد وتعزيز الصفوف والدعاية لعقيدة الموحدين. ولم يوجه اهتمامه شرقا باتجاه المغرب الأوسط إلا بحلول سنة 533 هـ/1139م، وهذا بعدما رأى ما آلت إليه الأوضاع هناك من تدهور نتيجة نزوح القبائل العربية الهلالية من جهة، والغزو النورماندي من جهة ثانية.⁴

ولما أدرك أن القدرات المتوفرة لديه بالمغرب الأقصى غير كافية للتغلب على المرابطين، قرر الاستعانة بأبناء عشيرته، فتوجه إلى كومية إحدى بطون قبيلة زناتة المقيمة بندرومة القريبة من تلمسان، فلقيت دعوته قبولا منها، وحصل على دعم وتأييد من أهلها، الأمر الذي شجعه على التوغل أكثر في المغرب الأوسط، ففاجأ لمتونة بوهران بهجوم مباغت، وما زال يحاصرها حتى انصاع أهلها.

اشتد الصراع بين المرابطين والموحدين، خاصة بعد أن أعلن بعض شيوخ مسوفة وزناتة عن ولائهم لقوات عبد المؤمن بن علي، مما دفع بالأمير المرابطي تاشفين بن علي إلى طلب

¹ - عبد الواحد ذنون طه، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ط1، 2004، ص ص 206-207.

² - ملالة هي قرية في جنوب بجاية تدعى تملالت بالبربرية. ينظر: البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص 13.

³ - البيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، مرجع سابق، ص ص 12 - 20.

⁴ - عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 211.

إمدادات عسكرية من مختلف أرجاء دولته، فوصلته تعزيزات من سجلماسة وبجاية وكذا من الأندلس.¹

تمكن خليفة المهدي من الانتصار على القوات المرابطية سنة 539هـ/1144م، بتواطؤ من قبيلة جزولة، ثم أقام مخيما بجبل الصخرتين المطل على تلمسان من جهة الجنوب قصد إحكام الحصار عليها، في حين عسكر تاشفين في حصن الصفصيف إلى الشمال من تلمسان، قبل أن يضطر إلى تركه ويتجه إلى حصن وهران أمام الضربات المتتالية للموحدين.

ومما زاد من معاناة المرابطين، ظهور انشقاقات في صفوف جيشهم، وتأييد مغراوة وبنو مريم لخصومهم، الأمر الذي شجع القوات الموحدية على محاصرة حصن تاشفين، وإشعال النار فيه، ليهلك بذلك تاشفين وحاشيته.²

بعد إخضاع وهران السلطان الموحدين، توجهت أنظارهم صوب تلمسان، فاستولوا على تآكرات المقر الرئيس للسلطة المرابطية بالمغرب الأوسط دون مقاومة تذكر، ثم حاصروا أفادير ما يقارب السنة، فأخضعوها بالقوة سنة 540هـ/1145م، وتلقوا البيعة من عاملها، وهذا بالموازاة مع ملاحقة الفارين من وهران وتآكرات صوب فاس، حيث أشار ابن عذاري في بيانه أن قوات عبد المؤمن قتلت الكثير من الممتونيين سواء في تلمسان أو فاس، على الرغم من توسلهم طالبيين العفو منه.³

عزم عبد المؤمن بن علي على إخضاع كامل المغرب الإسلامي إلى سلطانه. فقبل استيلائه على فاس ومراكش، وصلته بيعة أهل سجلماسة؛ ليقوم بعد ذلك في سنة 544هـ/1149م بتأسيس مدينة رباط الفتح، ثم يعود من جديد إلى المغرب الأوسط قاصدا إفريقيا، فاستولى في طريقه على مليانة، وبعدها الجزائر والمدية سنة 546هـ / 1151م، قبل أن يباغت الأمير الحمادي يحيى بن عبد العزيز بن المنصور ويفتك منه بجاية، مرغما إياه على الفرار.

ويبدو أن الانتصارات التي كان يحققها الخليفة الموحد ناتجة عن التكتيك الحربي الذي كان يعتمده كتجهيز جنده في سرية تامة، إذ يشير البيدق أن عساكر عبد المؤمن كانوا يتأهبون للقتال دون معرفة الوجهة أو زمن الانطلاق.⁴

1 - ابن عذاري، المصدر السابق، ص 19.

2 - ابن عذاري، المصدر السابق، ص 20. البيدق، المصدر السابق، ص 59.

3 - ابن عذاري، المصدر السابق، ص 22.

4 - البيدق، المصدر السابق، ص 105.

واصل عبد المؤمن طريقة نحو الشرق، فعبر الأجزاء الغربية من المغرب الأوسط، ثم أخضع الجزائر لسلطانه دون قتال سنة 546هـ/1151م وأمن أهلها؛ ففر صاحبها القائم بن يحيى بن العزيز إلى والده ببجاية.¹

في السنة الموالية، تحركت الجيوش الموحدية نحو مملكة بجاية في غفلة من أميرها يحيى بن عبد العزيز بن المنصور، فدارت معركة شديدة بين الطرفين، كانت الغلبة فيها للموحدين؛ وبذلك دخل عبد المؤمن إلى بجاية التي كانت له مراسلات من قبل مع ميمون بن حمدون وزير صاحبها، حيث فتح له أبواب المدينة بعد أن فر صاحبها إلى قسنطينة، وتحصن بها.²

استطاع الخليفة الموحدى إقناع أهل قسنطينة بالاستسلام مقابل إلغاء الضرائب المفروضة عليهم، فدخلها سنة 547هـ/1152م، وتم اعتقال يحيى بن عبد العزيز، فقبل دعوة الموحدين، ليعود الجميع إلى بجاية أين أقام بن علي شهرين، وعين ابنه عبد الله واليا عليها.³

أما دخول الموحدين إلى قلعة بني حماد فكان دمويا، حيث أسفر عن مقتل ثمانية عشر ألفا من أهلها من قبل القوات الموحدية بقيادة عبد الله بن عبد المؤمن.⁴

وكانت القبائل الهلالية كالأثنج ورياح وزغبة من أكثر المتضررين من سقوط القلعة، إذ تم طردها من الأراضي التي امتلكتها في ظل حكم الحماديين، فنارت ضد الموحدين، لكنها هزمت وقتل أبرز زعمائها، مما دفعها إلى الاستسلام والدخول في طاعة الموحدين سنة 548هـ/1153م.

5

نجح عبد المؤمن بن علي في حملته على المغرب الأوسط، فعاد بعدها إلى العاصمة مراكش بصحبة يحيى بن عبد العزيز الذي أحسن إليه، حيث يقول صاحب الحل الموشية في هذا الصدد:

1 - الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج2، ص ص 107-108.

2 - ابن السماك العاملي (أبو القاسم محمد بن أبي العلاء)، الحل الموشية في الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011، ص 226.

3 - ابن صاحب الصلاة (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي)، المن بالإمامة - تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين -، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987، ص 113.

4 - الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، المرجع السابق، ج2، ص 108.

5 - الناصري، المرجع السابق، ص 108.

"وصار مع الخليفة عبد المؤمن إلى حضرة مراكش، فأعمره الديار، وأقطعه الضياع، واقام هو وبنوه تحت إكرام ومبرة إلى أن انقرضوا.¹

واصل عبد الله بن عبد المؤمن العمل بالمغرب الأوسط على نهج أبيه، فضم بونة إلى سلطان الدولة سنة 551هـ/1156م، بعد أن قتل عاملها الحارث الذي كان قد استتجد بالنورمانديين، وبذلك خضع المغرب الأوسط كله للدولة الموحدية، وظل الأمر كذلك إلى قيام الدولة الزيانية.

7- الدولة الزيانية:

عرف المغرب الأوسط في النصف الأول من القرن السابع الهجري، الموافق للقرن الثالث عشر ميلادي، وضعاً سياسياً جديداً، تمثل في قيام دولة بني عبد الواد، التي استقلت عن الدولة الموحدية على غرار جيرانها بنو حفص بالمغرب الأدنى وبنو مرين بالمغرب الأقصى. وقد نتج هذا التغير في الخريطة السياسية للمنطقة عن الضعف الذي آلت إليه دولة الموحدين، بعد أن خضع إلى سلطانها المغرب والأندلس .

لقد كانت هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م،² بمثابة ضربة قاضية أذرت بقرب نهاية هذه الدولة، حيث توالى النكسات، وازدادت هجمات الممالك النصرانية من كل الجهات؛ فقشتالة من الشمال، وأراغون من الشرق، والبرتغال من الغرب.³ ومما زاد من معاناة الدولة الموحدية، انكار بني غانية ولاءهم لها وعلان الثورة ضدها، ناهيك عن الصراع حول الخلافة منذ وفاة عبد المؤمن بن علي سنة 558هـ/1164م، مما أفقد الدولة هيبتها، وجعلها عرضة للانقسامات، ليبدأ المغرب الأوسط عهداً جديداً مع ظهور بني عبد الواد.⁴

بعد أن كان بنو عبد الواد من أشد المعارضين للموحدين، تغيرت العلاقة بين الطرفين، إذ وجد عامل الموحدين بتلمسان في هؤلاء خير معين له في مواجهة خطر ابن غانية المهديد التلمسان؛

1 - ابن السماك العاملي، المصدر السابق، ص.226

2 - ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي)، مرجع سابق، ص ص 138-140

3 - خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان (633-681هـ / 1235-1282م)، دراسة تاريخية وحضارية، المكتبة الوطنية، ط1، 2005، ص 40.

4 - بنو عبد الواد هم زعماء قبائل رحل كانت منتشرة بصحراء المغرب الأوسط وتمارس الرعي، قبل أن تزحف في عهد المرابطين نحو سواحلها. عارضت هذه القبائل قيام الدولة الموحدية، لكنها سرعان ما أصبحت موالية لها، لتتال بذلك حظوة عند حكامها، وتحصل على أراضي بتلمسان وسواحيها. ينظر: خالد بلعربي، المرجع السابق، ص.43

فكان رد الجميل بإقطاعهم أراضي بإقليم وهران وضواحي تلمسان إلى وادي ملوية غربا، فاستقروا هناك حيث السهول الخصبة والمراعي الواسعة.¹

ونظير الخدمات والولاء الدائم للموحدين، قام الخليفة المأمون الموحي بتعيين جابر بن يوسف حاكما على إقليمي تلمسان وبني راشد سنة 627هـ / 1230م، وهذا قبل أن يتطلع بنو عبد الواد إلى بسط سلطانهم على المغرب برمته، كورثة للموحدين الذين أضحى ضعفهم جليا.²

وقد مرت الدولة الزيانية منذ ظهورها وإلى غاية أفول نجمها بأربع مراحل رئيسية، تعاقبت على مدار ثلاثة قرون هي: مرحلة النشأة (633-1235/706-1306م)، وهي المجال الذي يدخل في إطار دراستنا هذه، ومرحلة التوسع (706-1306/737-1337م)، ومرحلة النهضة (759-791هـ/1350-1389م)، ومرحلة الضعف والسقوط (791-962هـ/1554-1389م).

بحلول سنة 633هـ / 1235م، أقدم يغمراسن بن زيان (633-681هـ / 1235-1282م)³ على تأسيس دولة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط، متخذا من تلمسان عاصمة له، وكان ذلك على عهد الخليفة الموحي الرشيد عبد الواحد بن إدريس (630-1232/640-1242م).

عرفت هذه الدولة الناشئة بالدولة الزيانية نسبة إلى مؤسسها، حيث أبقى هذا الأخير على علاقات الود والصداقة مع الموحيين، من خلال تبادل الهدايا والسفارات. ولما اعتلى الخليفة السعيد أبو الحسن عرش الموحيين (640-646هـ / 1242-1248م)، حرص على إبقاء العلاقة الطيبة مع الأمير الزياني، فبعث إليه خيولا، ووعدته بقتال العدو المشترك المتمثل في بني مرين، الذين وسعوا نفوذهم بالمغرب الأقصى. وقد فسر البعض هذا التقرب الموحي من بني زيان، برغبة الخليفة الموحي في إبعاد الخطر المريني عن المغرب الأوسط، ليستعيد بعد ذلك سلطانه على تلمسان، ثم التوجه إلى إفريقية لاسترجاعها من بني حفص.⁴

¹ - يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ج 1، ص 198.

² - خالد بلعربي، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55-633 / 675-1235م)، دار الألفية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2011، ص ص 44-45.

³ - هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد، ينتمي إلى بني عبد الواد أحد بطون قبيلة زناتة البربرية. ولد سنة 603 / 1206م. ظهر على ساحة الأحداث كزعيم سياسي لبني عبد الواد سنة 633هـ/1235م، حيث أعلن عن قيام الدولة الزيانية. تميزت علاقته بالعداء مع المرينيين والحفصيين، حيث كان كل طرف يعتبر نفسه الوريث الشرعي للدولة الموحدية التي دخلت مرحلة الإحتضار. ينظر: لسان الدين بن الخطيب، رقم الحل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ، ص 72

⁴ - خالد بلعربي، مرجع سابق، ص ص 239-240.

وما يؤكد هذا، ما أورده ابن أبي الزرع في ذخيرته، حيث ذكر أن السعيد الموحي غادر مراكش في جيش عظيم باتجاه الأماكن التي يربط بها المرينيون؛ وما أن وصلت قواته حتى سارع الأمير المريني أبو بكر بن عبد الحق بإرسال بيعته إلى السعيد طالبا منه العفو على قبائل بني مرين، ومتعهدا بجعلها في خدمته، والتكفل بالقضاء على يغمراسن، حيث خاطبه قائلا: يا أمير المؤمنين، لا تتعب نفسك في أمر يغمراسن، أنا أكفيك أمره، فارجع إلى حضرتك.

وقوني بالمال والعدة، وأنا أبيع عبد الوادي وغيرهم ممن ثار بتلك البلاد من قبائل زناتة، وأفتح لك البلاد وأمهداها.¹ نجح الخليفة السعيد الموحي في إزالة الخطر المريني، لكنه رغم ذلك استشار كبار قومه في العرض الذي قدمه أبو بكر المريني، فنصحوه بألا يأمن شره بقولهم: يا أمير المؤمنين، إن الزناتي أخ الزناتي، لا يخذله ولا يسلمه، فتخاف أن يصطلحا ويجمعا على حريك، فتكون المشقة بهم أعظم، والمقاساة في حربهم أشد". عمل الخليفة بالنصيحة، فطلب من أبي بكر أن يبقى بقلاع الريف، ويبعث إليه بفرقة من الفرسان، ففعل.²

توجه الأمير الموحي إلى تلمسان سنة 646 هـ/1248م، مستعينا بالإمدادات المرينية المتمثلة في خمسمائة فارس. لكنه وجد يغمراسن قد غادر مدينته في أهله وولده وخاصته، ولجأ إلى حصن تاميزديت جنوب وجدة وتحصن بها،³ فلاحقه إلى هناك وهو لا يدري أنه سينال حتفه، حيث تمكن بنو عبد الواد من القضاء عليه، ثم نهبوا محلته وأمواله وعادوا بها إلى تلمسان.⁴ بذلك انكسرت شوكة الموحيين، واهتزت سمعتهم أمام قبائل المغرب الأقصى بالخصوص، فزادت أطماع بني مرين، لينتهي الأمر بسقوط الدولة الموحدية سنة 668 هـ/1269م.⁵ تميزت العلاقات الزيانية المرينية بالسوء منذ دخول الموحيين إلى المغرب الأوسط سنة 539 هـ/1145م، نظرا لتحالف بني عبد الواد مع الدولة الموحدية.

1 - ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 71.

2 - ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص 71-72.

3 - اختلف المؤرخون في كيفية هذه الكلمة "تاميزديت، أو تامزديكت، أو تمزكزت". فهناك من قال أنها قلعة بقبلة وجدة، وذكر آخر أنها جبل بمجاورة جنوب وجدة، في حين قال ثالث أنها حصن بين صحراء أنكاد وناحية تلمسان. ينظر البكري المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مرجع سابق، ص 87

4 - ابن أبي زرع، الذخيرة السنية...، المصدر السابق، ص 72

5 - خالد بلعربي، تلمسان من الفتح...، المرجع السابق، ص 243

وزاد الأمر سوءاً وتطور إلى مواجهات عسكرية، كان الانتصار في معظمها للمرينيين، مثل معركة وادي إيسلي قرب وجدة سنة 647هـ /1249م التي انهزم فيها يغمراسن،¹ واستعاد بموجبها الأمير المريني أبو يحيى بن عبد الحق (644-658هـ /1244-1258م) نفوذه على فاس التي كانت قد خرجت عليه، مما دفع بيغمراسن إلى نصح ولده أبو سعيد عثمان قبل وفاته، بأن يكف عن محاربة المرينيين لأنهم أشد بأساً وقوة، وأن يوسع ملكه بانتزاع ما كان بيد الحفصيين بالجهات الشرقية من المغرب الأوسط، حيث قال له: يا بني، إن بني مرين، بعد استفحال ملكهم، واستيلائهم على الأعمال الغربية، وعلى حضرة الخلافة بمراكش؛ لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا لوفود مددهم...، فإياك واعتماد لقائهم، وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك، وحاول ما استطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحديين وممالكهم...، ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلاً لذخيرتك.²

يبدو أن عثمان بن يغمراسن طبق وصية والده، وجنح إلى السلم مع بني مرين، حيث أوفد أخاه محمد بن يغمراسن إلى يعقوب بن عبد الحق (657-686هـ /1259-1286م) الذي كان في إجازة بالعدوة الأندلسية، فلقية وعقد له من السلم ما أحب، فطابت نفسه بهذا اللقاء؛ وبذلك تفرغ خليفة يغمراسن لتوسيع مملكته شرقاً.

استطاع عثمان بن يغمراسن توسيع نفوذه بالجهات الشرقية، حيث تمكن من إخضاع جميع المناطق التي كانت خاضعة لبني توجين ومغراوة؛ فدانت له أقاليم بني توجين سنة 687هـ /1287م إما سلماً أو حرباً، في حين لم يبسط سيطرته على أراضي مغراوة إلا بحلول سنة 693هـ /1293م بعد صراع طويل، وبذلك خضع كل المغرب الأوسط لسلطانه.³

بعد هلاك السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق سنة 686هـ /1286م، على السلم المنعقدة بينه وبين بني زيان، تولى أمر بني مرين من بعده ابنه يوسف بن يعقوب (686-703هـ /1286-1306م)، الذي لم يرق له تقارب السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن مع بني الأحمر، فتنازل بدوره لهؤلاء عن ثغور الأندلس التي كانت خاضعة له، ليتفرغ لمواجهة الزيانيين؛ إذ هاجم عاصمتهم

1 - ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دمشق، دار البلخي، ط1، 2002، ج2، ص172

2 - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج13، ص ص 189-190.

3 - يحيى بن خلدون، مرجع سابق، ص 118.

تلمسان وحاصرها عدة مرات، كان أولها سنة 689 هـ/1289م بمساعدة مغراوة، لكنها استعصت عليه.

قام باعتداء آخر استهدف ندرومة سنة 695 هـ/1295م، ثم عاد بعدها إلى المغرب. غزا تلمسان مرة ثالثة سنة 696 هـ/1296م، قبل غزوته الرابعة لها في السنة الموالية، بدعم من بني توجين هذه المرة، والتي توجت بحصار طويل عمر أكثر من ثماني سنوات، تم خلاله إحاطة عاصمة بني زيان بالأسوار، واختط إلى جنبها مدينة جديدة سماها المنصورة¹.

ولم ينته هذا الحصار إلا بوفاة يوسف بن يعقوب سنة 703 هـ/1306م، حيث عرفت تلمسان خلاله أسوأ مجاعة. يقول ابن خلدون عن آثار هذا الحصار: "واستمر حصاره إياهم إلى تمام ثماني سنين وثلاثة أشهر من يوم نزوله، نالهم فيها من الجهد والجوع ما لم ينل أمة من الأمم، واضطروا إلى أكل الجيف والقطن والفيران، حتى لزعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الأناسي، وخبروا السقف للوقود، وغلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق، بما تجاوز حدود العوائد"².

هذه هي الأوضاع السياسية التي ميزت المغرب الأوسط منذ العهد الرستمي وإلى غاية مطلع العهد الزياني. هذه الفترة التي عرفت السلم والاستقرار أحيانا، والحروب والصراعات أحيانا أخرى، كان لها تأثيرها الواضح في مختلف الميادين، خصوصا الميدان التعليمي الذي هو موضوع الدراسة. فالاختلاف المذهبي للدول التي تعاقبت على إدارة شؤون المنطقة أرخى بظلاله على الحياة التعليمية بالخصوص، إذ بدا ذلك واضحا على السياسات المتباينة المنتهجة في هذا المجال، حيث كيفت برامج الدراسة بما يخدم مذهب الدولة القائمة، وضيق على علماء المذاهب الأخرى.

ثالثا: الوضع السياسي للأندلس ما بين القرنين 02 - 09 هـ/08-15م

مرت بلاد الأندلس بعدة عهود استقر بها حكم الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية حوالي 8 قرون، منذ فتحها بداية طارق بن زياد و موسى بن نصير وأخرون سنة 92 هـ/711م حتى سقوط

¹ - منصور هي المدينة التي اختطها أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني عند بداية حصاره التلمسان سنة 697 هـ/1297م. خربها أهل تلمسان بعد فك الحصار عنها سنة 703 هـ/1306م. أعاد بناءها السلطان أبو الحسن المريني أثناء الحصار الثاني لعاصمة الزيانيين بين سنتي 735 و737 هـ و1335 و1337م. ما تزال بعض آثارها قائمة على بعد كيلومترين غرب تلمسان. ينظر: التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقبان، تح: محمود بوعياض، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 130-131.

² - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج 13، ص 197-198.

غرناطة 897هـ / 1942م وخلال هذه الفترة تقلبت خلالها بين الضعف والقوة ويمكن اجمال هذه العهود في ما يلي:

1 عهد الفتح: استمر حوالي أربع سنوات 92-95 / 711-714م.

2 عهد الولاة: 95-138هـ / 714-755م و دامت فترة الحكم في هذا العهد حوالي 42 سنة مر من خلالها 20 واليا تقريبا.

3 عهد الإمارة: 138-316هـ 755-929م و يبدأ هذا العهد بمجيء عبد الرحمان الداخل إلى الأندلس حتى اعلان الخلافة من قبل عبد الرحمان الناصر الثالث سنة 316هـ 929م.

4 عهد الخلافة: 316-400هـ / 929-1009م و يبدأ منذ إعلان الخلافة حتى وفاة الحكم المستنصر سنة 366هـ 976م وكان عصر الخلافة حوالي القرن.

5 عهد الطوائف: 400-484هـ / 1009م-1091م وهو عهد ملوك الطوائف ودام حوالي ثلاثة أرباع القرن حتى دخول دولة المرابطين الأندلس.

6 عهد المرابطين والموحدين: 484-620هـ / 1091-1223م حيث دخلت الأندلس دولة المرابطين ودامت أقل من نصف قرن ثم دولة الموحدين التي دامت قرابة القرن ويمكن اعتبارهما عهدين مستقلين.¹

7 مملكة غرناطة: 620-897هـ / 1223-1492م حيث قامت دولة بني الأحمر ودامت ما يزيد عن قرنين و نصف حتى نهاية القرن التاسع هجري والخامس عشر ميلادي ويمثل سقوطها نهاية الحكم الإسلامي للأندلس.²

¹- عبد الرحمان علي حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دمشق، دار القلم، ط2، 1981، ص 39.

²- عبد الرحمان علي حجي، المرجع نفسه، ص 39.

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية والعلاقات الثقافية بين

المغرب الأوسط والأندلس

أولاً: العلاقات الاقتصادية بين المغرب الأوسط والأندلس

ثانياً : العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس

ثالثاً : العلاقات الدينية بين المغرب الأوسط والأندلس

أولا : العلاقات الاقتصادية بين المغرب الأوسط و الأندلس

ساهمت العديد من العوامل في تنشيط الحركة التجارية بين المغرب الأوسط و الأندلس ولعل أبرزها ما يلي :

1: دور الموانئ في تنشيط الحركة التجارية بين المغرب الأوسط والأندلس:

أدت الموانئ دورا هاما في تنشيط الحركة التجارية بين المغرب الأوسط والأندلس، وقبل التطرق إلى هذا الدور الكبير الذي قامت به الموانئ لابد أن نشير إلى سبب اختيار الأندلسيين لسواحل المغرب الأوسط بالذات، واستغلالهم للمراسي، وبنائهم للموانئ، وهذا ما لفت انتباه الجغرافيين كثيرا آنذاك، فنرى تركيز الكثير منهم على ذكر المسافات البحرية الفاصلة بين سواحل المغرب الأوسط والأندلس، وكثيرا ما يذكرون موانئ المغرب الأوسط ومدنه الساحلية، وما يقابلها من موانئ، ومدن الأندلس الشرقية، ويدل هذا على مدى كثافة التنقلات البحرية بين المغرب الأوسط و الأندلس ، حتى أصبحت ظاهرة تفرص نفسها على الجغرافيين نظرا لأهميتها.

والظاهر أن تنقلات الأندلسيين إلى المغرب الأوسط، وبنائهم للمدن الساحلية على غرار وهران وتنس وبجاية صارت من الأمور التي تتطلب الالتفات إليها، ودراسة أسبابها، ولعل ما سنتطرق إليه من شأنه أن يوضح لنا بعضا من أسباب ذلك؛ إذ اتسمت العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والأندلس بطابعها البحري، وذلك بحكم الموقع الجغرافي، وتقارب الضفتين وتقابلهما، فمرسى مدينة أرشقول مثلا يقابله من بر الأندلس مرسى قابطة بني أسود، والمسافة بينهما مجريان،¹ ومدينة وهران تقابل مدينة ألمرية من ساحل بحر الأندلس، وسعة البحر بينهما مجريان،² وعرض البحر بين مدينة مستغانم إلى ساحل دانية من الأندلس نحو ثلاثة مجار ونصف، ويقابل مرسى جزائر بني مزغنة من بر الأندلس مرسى بنشكلة بينهما ست مجار،³ وعرض البحر عند بجاية إلى جهة طرطوشة⁴ من الأندلس ثلاث مجار.⁵

1 - البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تق وتع: حماه الله ولد السالم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2013، ص 170

2 - الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م، ص 252، 257

3 - ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، تح وع: سماعيل العربي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1970، ص 141.

4 - البكري، مصدر سابق ، ص 171.

5 - أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحميل وتعليق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، تونس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008، ص 206 .

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

وهكذا فقد كانت السفن الأندلسية تتردد كثيرا بين موانئ الأندلس وموانئ المغرب الأوسط، ولعل ما ساهم في ذلك الانفتاح السياسي المتمثل خاصة في تلك العلاقات الودية والتحالفات بين الرستميين في المغرب الأوسط والأمويين في الأندلس التي لم تقتصر على النواحي السياسية فحسب؛ بل اشتملت أيضا على النواحي الاقتصادية والعسكرية أيضا، ولعل محاصيل تاهرت الزراعية كانت تجد طريقها في كثير من المناسبات إلى مخازن قرطبة، ولا سيما في سنوات المحن.¹

وما قام به البحارة الأندلسيون من إنشاء للمدني والثغور على طول ساحل المغرب الأوسط، وقد استقرت في هذه المدن جاليات أندلسية نذكر منها "مدينة تنس" التي أصبحت محطة تجارية هامة تختلف إليها السفن الأندلسية في فصل الشتاء، حيث يذكر البكري أن تنس الحديثة أسسها وبنها البحريون من أهل الأندلس منهم الكركني وأبو عائشة والصقر وصهيب وغيرهم، وذلك سنة 262/ 875م، ويسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل البيرة وأهل تدمير، ويذكر أن هؤلاء البحارة الأندلسيون كانوا يشتون في تنس إذا سافروا من الأندلس في مرسى على ساحل البحر، حتى تجمع إليهم بربر المنطقة، وسألوهم أن يتخذوا من قلعة تنس سوقا ويجعلونها سكن، فأجابهم الأندلسيون إلى ذلك.²

ونلاحظ من خلال رواية البكري أن البربر أو السكان المحليين اعتادوا على تواجد البحارة الأندلسيين بالمنطقة، ولمسوا منهم الأمان؛ لذا طلبوا منهم أن يتخذوا قلعة تنس سكنا وسوقا لهم، وذلك لما رأوه من ازدهار لتجارتهم وتفوقها بسبب تواجد هؤلاء الأندلسيين، حتى أنهم ترجوهم "ووعدهم بالعون، والرفق وحسن المجاورة والعشرة"³ حسب رواية البكري، فأخذت العلاقات الاقتصادية بين المغرب الأوسط والأندلس تنمو وتتوحد، وازداد نشاط البحارة الأندلسيين في سواحل المغرب الأوسط.

ويعد تنس قام البحارة الأندلسيون بتأسيس مدينة وهران، حيث يذكر البكري أن بناء وهران هم محمد بن أبي العون ومحمد بن عبدون، وجماعة من الأندلسيين البحرين الذين ينتجعون

¹ - ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص142-143.

² - عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس وبين دول المغرب، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2، 1999، صص96، 98، 101.

³ - البكري، مصدر سابق، ص146-147.

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

مرسى وهران، باتفاق منهم مع قبائل نفزة و بني مسقن، وهم من أزداجة، وذلك سنة 290هـ/902م،¹ ليتوسع نشاط هؤلاء البكارة إلى ناحية الشرق، حتى أصبحت مدينة بجاية عامرة بأهل الأندلس، وأصبح ميناؤها مقصدا للتجار والعلماء من الأندلسيين وغيرهم، وعقدت اتصالات وثيقة مع موانئ الأندلس، فاستفادت بجاية من هذا الانفتاح البحرية، وغدت بذلك "السفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة، والبضائع بها نافقة"²

وساهم هذا الانفتاح البحري لسواحل المغرب الأوسط، والإقبال الكبير للبخارة الأندلسيين في تنشيط حركة الملاحة البحرية بين المغرب الأوسط و الأندلس ، حيث أضحت الأساطيل التجارية في موانئ الأندلس (مالقة، ودانية، وبلنسية، وألمرية) تجوب موانئ المغرب الأوسط حاملة على ظهرها البضائع على تنوعها سواء كانت زراعية وخصوصا من ثمار الأندلس أو منتجات صناعية من نتاج المعامل في المدن الأندلسية،³ كما غدت الموانئ الأندلسية مزدحمة بالسفن التجارية المحملة بالأقمشة الثمينة والأشربة المتنوعة، وشتى أنواع المحاصيل.⁴

وإذا تساءلنا عن سر هذه العلاقة الاقتصادية الوطيدة بين المغرب الأوسط والأندلس، فلا يجب أن نستبعد العلاقات السياسية بين الإقليمين، وبخاصة على عهد الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط والإمارة الأموية بالأندلس، فكان سر هذا التقارب الملفت للنظر بين الدولتين؛ نظرا لمذهبهما وتوجهاتهما الخاصة، إضافة إلى الأهداف والمصالح المشتركة للإقليمين في مجالات عدة.

وما يهمننا منها المجال الاقتصادي؛ إذ وجد الأندلسيون في المغرب الأوسط أرضا خصبة لتسويق منتجاتهم الصناعية، وجلب المواد الأولية، والأكثر من ذلك أنهم اعتبروا المغرب الأوسط طريقا رابطا بين الأندلس وبلاد السودان؛ ذلك أن بلاد السودان كانت تحتوي على أثمان البضائع في العصر الوسيط يتصدرها الذهب، ويليه الرقيق ثم الملح، كما أن سكان المغرب الأوسط كانوا بحاجة إلى المنتجات الأندلسية ، وبخاصة المواد المصنعة بشتى أنواعها، فشكل هذا التقارب تكاملا بين الإقليمين اقتصاديا.

1 - البكري، مصدر سابق، ص147.

2 - البكري، المصدر نفسه، ص 156.

3 - دومينيك فاليرين، بجاية ميناء مغربي (1067-1510م)، ترجمة عمار علاوة، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، ج1، صص 55، 61.

4 - الإدريسي، مصدر سابق، ص 260.

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

وبخصوص البضائع المتبادلة بين الإقليمين، فقد شكل المنتج الزراعي أهم صادرات الأندلس، ويتمثل أساسا في المنتجات المجففة على غرار الفواكه كالعنب والتين، فقد اشتهر التين المالقي بأنه أحسن وأجود أنواع التين، حيث كان يصدر إلى سائر الأقاليم،¹ ومن بينها المغرب الأوسط، وكان التجار الأندلسيون يتجهزون بالأمتعة من مدينة شاطبة لتصديرها إلى بلاد المغرب وغانة وبلاد السودان،² وتتمثل هذه السلع فيما تنتجه بلاد الأندلس من مواد زراعية وصناعية، فكان يحمل الكتان والقطن اللذان يزرعان في إقليم البيرة وإشبيلية، فيصدران إلى بلاد المغرب أين يباعان بأثمان مرتفعة.

ووجدت سلع ومنتجات المغرب الأوسط طريقها إلى الأندلس، فكان يحمل الطعام من مدينة تنس إلى الأندلس، ومن مرسى الدجاج كان يتجهز بالقمح والشعير والمواشي إلى البلاد المجاورة بما فيها الأندلس، كما كان يتجهز بالعسل والسمن من جزائر بني مزغنى، ويجلب إلى القيروان والأندلس، وغيرهما من البلاد، ومن ميناء بونة كانت تصدر الغنم والبقر والصوف والماشية من الدواب وسائر الكراع، فتحمل إلى البلاد المجاورة، إضافة إلى احتواء مدينة بونة على معدن الحديد الجيد المتواجد فيها بكثرة، فكان يحمل من مينائها إلى سائر الأقطار. ويمرسي الخرز يتواجد المرجان الذي لا يعرف له نظير في الجودة، فكان التجار الأندلسيون وغيرهم يحضرون إلى المدينة من أجل استيراده، ومن ميناء بجاية كان الأندلسيون وغيرهم يستوردون الصوف والزيت والجلود والشمع وريش النعام،³ وقد انتقل إلى الأندلس ذهب السودان ومختلف البضائع والغلات المغربية والسودانية، فضلا عن الرقيق الأسود عن طريق الجاليات الأندلسية المتواجدة بسواحل المغرب الأوسط.

2- التجارة المتبادلة بين المغرب الأوسط والأندلس:

¹ - خديجة بورملة، التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في البحر المتوسط من القرن السادس إلى التاسع الهجري /12-15م أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران 1، 2017/2018م، ص ص 177 -17.
² - ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1994، ص 47
³ - عبد العزيز فيلاي، مرجع سابق، ص 104.

العلاقة التجارية والاقتصادية التي سادت بين المغرب الأوسط (الجزائر)، والعدوة الأندلسية، خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي فالغرب الإسلامي أو المغرب الإسلامي¹. وذلك نتيجة لازدهار الزراعي والصناعي والتقدم الحضاري الذي ظهر خلال القرن الرابع الهجري وصارت أسواق الأندلس والمغرب الأوسط.

وهذا قد لعب الموقع الجغرافي والظروف المناخية المتشابهة بكل من الأندلس والمغرب الأوسط دورا عظيما في ازدياد النشاط التجاري بين القطرين.

وقد ربطت بين الأندلس والمغرب خطوط بحرية، حيث كانت السفن التجارية تنتقل بين وهران² - المغرب الأوسط" فهي فرصة الأندلس إليها ترد السلع ومنها تحمل الغلال".³ فكانت السفن التجارية تتردد بين وهران المرية حاملة مختلف أنواع التجارات والعلماء المسافرين عبر الثغرين،⁴ ومن أهم السلع الغذائية نجد القمح حيث تنقله المراكب من ميناء وهران وطبرق.

وكانت القاعدة الأساسية للتجارة بين الأندلس والدولة الحمادية وكانت أكثر المنتجات التي تنتقل إلى الأندلس المرجان والصوف والعسل ثم نشطت حركة التجارة بين الدولتين في القرن السادس الهجري والثاني عشر الميلادي، حيث تفوقت بجاية وأصبحت من القاعدة الرئيسية للتجارة الحمادية الأندلسية بعد ذلك.

وهنا بإمكاننا تصور مستوى الزراعة في الدولة الرستمية والقول بأنها كانت مزدهرة نشيطة ومتنوعة، وكانت تلبي حاجات البلد بل كثيرا ما عرفت الحبوب إلى طريقها إلى بلاد الأندلس حيث الأمويون الذين تربطهم الرستميون علاقات تجارية وطيدة.

1- مجال الرعي:

لابد أن نشير إلى أن المغرب الأوسط بأسره وهو مجال الرستميين، كانت منه تجلب "الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها"، وكانت المراكب الأندلسية

1 - ابن عذارى المراكشي، البيان، ج 1، ص 154.

2 - محمد بن حوقل البغدادي الموصلية، صورة الأرض، بيروت دار صادر، 1938، ج 2، ص 79.

3 - الاصطخري، المسالك والممالك، بيروت، دار صادر، (د.ط.)، 2004، ص 38-39.

4 - ابن حوقل، مصدر سابق، ص 78-79.

تختلف إلى مرسى وهران لنقل الفائض من الإنتاج الحيواني الرستمي، إضافة إلى ما تحتاجه الدولة الأموية في الأندلس من حبوب خاصة في أزمتها الاقتصادية.¹

كما كانت تشحن من هذه المدن الأبقار والإبل إلى الموانئ الأندلسية،² وخاصة الميرة وضروب المرافق، والتجارات المتبادلة بين الموانئ المغربية ومدينة بجاية الأندلسية.³ فمدينة تاهرت على سبيل المثال اشتهرت بتربية الماشية وبالمثال اشتهرت مدينة بونة بتجارة الأغنام من سائر الماشية والدواب وليس ببعيد أن تم تصديرها إلى المناطق المجاورة وبالأخص إلى الأسواق الأكثر شهرة، كما تميزت مدينة مرسى البجاج، ابوفرة الألبان والمواشي ما يفرق غيرهم ممن يحاورهم.

2- المجال الصناعي:

فقد بلغ هو الآخر شأننا كبيرا وخاصة في عهد عبد الرحمان الأوسط 206-238هـ/782-852م الذي عم الهدوء والاستقرار في عهد ببلاد الأندلس وهذا شرط أساسي الازدهار البلاد وتقدمها ورخائها، ومن بين هذه الصناعات التي اشتهر بها أهل الأندلس، صناعة الأقمشة الكتانية والقطنية لكثرة زراعة القطن والصوف.⁴

ويذكر ابن الصغير قصدها "الوفود والرفاق من كل الأمصار والأقطار ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابنتى بين أظهرهم، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيره أمامه...".

5

في مجال الذهب:

يتصدر معدن الذهب قائمة السلع التي يصل إلى المغرب من بلاد السودان خاصة من بلاد السودان الغربي ويوضح لنا البكري المناطق التي يوجد بها قائلا "وأفضل الذهب في البلاد بلاد السودان الغربي"⁶

1 - ابن حوقل، مرجع سابق، ص 77.

2 - ابن حوقل، مرجع نفسه، ص 97

3 - محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض العطار في خبر الأقطار، تح: د. إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، 1984، ص

38

4 - عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص 41.

5 - ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر - ابراهيم بحار، د. ط، د. ت، ص 12-13.

6 - البكري، مصدر سابق، ص 176-177.

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الاندلس

وقد كان جزء من هذا الذهب يستعمل محليا في صك النقود أو صناعة الحلبي¹ وهذا الذهب لا يبقى في المغرب وإنما يمر به فقط ودوره ينحصر في إعادة توريده إلى مختلف المراكز الاقتصادية، كما كانت المسالك التجارية للمغرب الأوسط تتصل بمدينة تاهرت التي تعد من أهم المراكز التجارية التي كانت تربط مسالك الصحراء بالأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط عن طريق للبناء، وتنسب هذه المدينة التي اعتبرها ابن حوقل من أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم².

كما عمدت بجاية على تصدر الفائض من الخشب الصناعة الفن وقد ذكر الإدريسي انه كان بجاية دار صناعة الإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن لان الأخشاب في أوديتها وجبالها كثير موجودة بها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة وبجاية قطب الكثير من البلدان.³ وقد أدى ازدهار التبادل التجاري بين المغرب والاندلس إلى وجود جاليات أندلسية كثيرة من الموانئ المغربية مثل بونة، ووهران، تونس، وبجاية ومرسى الباج، فالبكري يذكر أن بونة كان أكثر تجارة من الأندلس⁴.

وبهذا نجد أن مختلف المدن الحمادية كانت تتسم بالثروة وليس فقط القلعة وبجاية بل بسكرة ومسيلة وسطيف، قسنطينة، وجزائر بني مزغن كلها مراكز تجارية وصناعية هامة.⁵ ومن هنا نستنتج أن التواصل التجاري بين المغرب الأوسط والاندلس كان له أثر قوي في تفاعل الحضارات و الثقافات.

ثانيا : العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الاندلس

أ-: التأثير الأندلسي في المغرب الأوسط

1. في المجال العلمي:

سبق الذكر أنه نتيجة الأوضاع السياسية المتدهورة بالاندلس، وعوامل أخرى هاجر الكثير من الأندلسيين تجاه المغرب الأوسط، وعاصمته تلمسان، كان من بينهم العديد من العلماء والفقهاء

1 - جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، مرجع سابق، ص 225

2 - ابن حوقل، مصدر سابق، ص77

3 - الإدريسي، مصدر سابق، ص96

4- البكري، مصدر سابق، ص 55

5- كريمان كحلال حكيمة حدار، العلاقات الخارجية للدولة الحمادية408-108/547-1152م، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 1435-1436/2014-2015م، ص86.

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

والأطباء، حاملين معهم علومهم ومعارفهم،¹ وحتى بعض صفاتهم وخصائصهم التي تأثر بها سكان المغرب الأوسط، ومن تلك الصفات: حب الأندلسيين للعلم، واهتمامهم الكبير به، فكان العالم معظما عندهم، سواء عند الخاصة أو العامة.²

وقد وضعت الكثير من الرسائل والمصنفات في ذلك، تصف مدى حب الأندلسيين للعلم، واهتمامهم به،³ وعلى سبيل المثال رسالة الشقندي (ت 629هـ/1231م)⁴ والتي جاء فيها: "إن الإجماع حصل على فضل الأندلسيين، وقد نشأ فيهم من الفضلاء والشعراء بها ما اشتهر في الآفاق"⁵، ووصف عبد الرحمان بن خلدون كذلك مدى ذكاء الأندلسيين، وحبهم الكبير للعلم، واعتنائهم البالغ بالشعر الذي بلغ التتميق فيه الغاية.⁶

والعالم الأندلسي كان بارعا لأنه يطلب العلم يباعث من نفسه، ونظرا لحرصهم على التعلم، كان الكثير يضطر لترك عمله الذي يقات منه من أجل طلب العلم، واهتم الأندلسيون بجميع العلوم، ما عدا الفلسفة والتنجيم، والتي كان لهما حظا عند الخاصة ولكن لا يتظاهر بهما خوف العامة.⁷

ولقد كان لهذه الصفات التي تميز بها الأندلسيون أثر في الحياة العلمية بالمغرب الأوسط، والأقاليم التي نزلوا بها، فأضحت تلك الأقاليم وارثة العلوم الأندلسية.⁸ و من بين المجالات العلمية التي كان للأندلسيين فيها تأثير، طريقة التعليم و التي أدخلوا عليها أمورا جديدة، إذ كان المنهج التعليمي المتبع بالمغرب الأوسط يعتمد على تحفيظ القرآن

1 - عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2002، ج 1، ص173

2 - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ المحقق: إحسان عباس؛ بيروت، دار صادر . 1968، ج4، ص 181

3 - أبو حامد الأندلسي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 62-63، أحمد أمين، ظهر الإسلام، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (د.ت)، ج3، ص10.

4 - ابن سعيد الغرناطي، المغرب في حلى المغرب، تح: خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1997، ج1، ص1، ص 150-151

5 - أحمد أمين، ظهر الإسلام، المرجع السابق، ص 10.

6 - ابن خلدون، المقدمة، دمشق، دار البلخي، ط1، 2002، ج2، ص 646.

7 - المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 1، ص 181.

8 - القلصادي، تمهيد الطالب ومنتهى الراغب في أعلى المنازل، المعروفة برحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجلال، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1978م، ص 26.

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

الكريم، و مبادئ العلوم الدينية في البداية،¹ ثم ينتقل إلى العلوم الأخرى وقد أبدى بعض العلماء تحفظا من هذه الطريقة، على غرار أحمد بن إبراهيم الآبلي (757هـ/1356م)، إذ يرى أن الطالب بهذه الطريقة يصبح مجرد وعاء على الأستاذ أن يملأه بالمعلومات الغزيرة، في شتى العلوم،² كما وجه أيضا تلميذه عبد الرحمان بن خلدون نقدا لهذا المنهج الذي يعتمد بالدرجة الأولى على الحفظ إذ كان المتعلم ملزم بحفظ عدد كبير من المؤلفات، وما كتب عليها من الشروح والحواشي والمختصرات، مما يعيق عملية التحصيل،³ واقترح بأن يكون التعليم بالتدرج شيئا فشيئا، و أن يمر بثلاثة مراحل.⁴

أما الأندلسيون فكان منهجهم يختلف عن هذا المنهج، إذ كان الطفل يبدأ بتعلم القراءة والكتابة، ثم النحو واللغة والحساب، وبعدها ينتقل إلى دراسة المنطق، وعلوم الطبيعة، ثم يليها علم الأخبار، والماورائيات وأخيرا ينتقل إلى دراسة علوم الشريعة،⁵ فكان يقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم حتى يتمكن الطفل من إجادة اللغة التي هي وسيلة لاكتساب العلوم الأخرى، وكانت العلوم الشرعية تأتي في الأخير حتى يسهل فهمها، بعدما يكون المتعلم قد حصل في العلوم الأخرى،⁶ وقد أعجب الكثير من العلماء بهذه الطريقة كعبد الرحمان بن خلدون وغيره.⁷ وقد نقل الأندلسيون طريقتهم الخاصة في مجال التعليم، المبنية على تعليم الأطفال القواعد الأساسية لمختلف العلوم،⁸ وساهموا في تنظيم حلقات التعليم بالمدارس والمساجد، سيما المسجد الجامع بتملسان، الذي أصبح معهدا للتدريس يضاهي جامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس، كما ساهم الأندلسيون بقسط كبير في دفع حركة التعريب بالمغرب الأوسط، وذلك راجع لعلمهم في

- 1- لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004-2005، ص 91
- 2- ناصر الدين سعيدوني، التجربة الأندلسية بالجزائر، "ندوة الأندلس"، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز، ط1، 1996، ص 87
- 3- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص 587-589.
- 4- عن مراحل التعليم لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 93-95
- 5- أحمد شبشون، المرجع السابق، ص ص 8-9.
- 6- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص 594-595
- 7- يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، مطبعة، ببيير فونطانة الشرقية، 1908 م، ج 1، ص 23
- 8- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2005، ص 64

مجال التعليم،¹ ومن مظاهر تأثير الأندلسيين في المجال التعليمي بروز جيل من العلماء الذين برعوا في العلوم الدينية خاصة الفقه والتفسير.²

ولم يقتصر التأثير الأندلسي على التعليم فحسب، بل تعداها إلى أمور أخرى كطرق الكتابة ورسم الخط، إذ صار الخط الأندلسي نموذجا يحتدى به،³ وغلب الخط الأندلسي على الخط المغربي في جميع المناطق التي حلوا بها، كما لقيت التأليف والمصنفات الأندلسية، سواء التي نقلت من الأندلس، أو التي ألفت بالمغرب الأوسط، اهتماما كبيرا، إذ اعتمدها الأساتذة في التعليم، بمختلف مدارس ومساجد المغرب الأوسط، ومن أهم تلك المؤلفات: لامية الشاطبي، وتفسير القرطبي....⁴

2. في المجال الفني:

2-1. المعمار:

عرف الجانب المعماري بالأندلس ازدهارا كبيرا، لاسيما في عهد سلاطين بني الأحمر الذين كانوا مولعين ببناء القصور، وإنشاء المساجد، هذه الأخيرة كانت منتشرة بكثرة في مختلف مدن وقرى الأندلس، ومن أهم ما خلفه الأندلسيون في هذا المجال: مسجد قرطبة، المسجد الجامع بغرناطة،⁵ مسجد الحمراء⁶ ومساجد أخرى.

ونظرا لاستمرار الصراع بين المسلمين والنصارى في شبه الجزيرة الإيبيرية فقد حرص سلاطين بني الأحمر على بناء القصور الشامخة، والقلاع الحصينة وإحاطة المدن بالأسوار، وقد عرفت قصور الأندلس بالروعة والجمال، وأهم تلك الحصون:

¹ - محمد بوشقيف، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران 2003-2004، ص 29.

² - محمد بوشقيف، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م، المرجع نفسه، ص 30.

³ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 88.

⁴ - المصدر نفسه، ص 88

⁵ - عن المسجد الجامع بغرناطة ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج 1، ص ص 359-360.

⁶ - عن مسجد الحمراء عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، القاهرة، مطبعة المدني، ط2، 1997، ص

* **قصر الحمراء بغرناطة:** يعد هذا القصر من أهم وأعظم الآثار التي شيدها المسلمون بالأندلس، فقد شيده محمد بن الأحمر الذي دخل غرناطة سنة 635هـ/1338م واختار موقع الحمراء لإنشاء حصن يحتمي فيه، واتخذ منه قاعدة لملكه.¹

وكان لهذا الحصن دورا كبيرا في أحداث غرناطة بصفة خاصة والأندلس بصفة عامة، إذ بفضل موقعه الحصين، وأبراجه المنيعة، تمكن المسلمون من صد هجمات المسيحيين، ومنع سقوط المدينة بأيديهم.²

* **قصر جنة العريف:** يعد هو الآخر من أروع قصور الأندلس شيد في أواخر القرن 7هـ/13م، وجدد على يد السلطان أبي الوليد إسماعيل (714-726هـ/1314-1325م)،³ ونظرا لجماله وروعته، فقد اتخذه سلاطين بني نصر مصيفا، ومنتزها للراحة والاستجمام.⁴

وبالإضافة إلى هذين القصرين ترك الأندلسيون أثارا أخرى في غاية الروعة والجمال، ولا تزال لحد الآن ماثلة، وشاهدة على ازدهار الحضارة الأندلسية ورفيها ولا تزال لحد الآن تثير الإعجاب، ليس من قبل المسلمين فقط، بل ومن قبل الغرب أيضا.⁵

وقد انعكس هذا الازدهار المعماري إيجابا على بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة و المغرب الأوسط بصفة خاصة، نتيجة الهجرات الأندلسية تجاه مدنه، إذ كان من بين المهاجرين عدد كبير من الفنانين والحرفيين.⁶

وبما أن الهجرة الأندلسية تجاه المغرب الأوسط قديمة، وكذلك التأثيرات المعمارية الأندلسية على المغرب الأوسط قديمة، وتبرز تلك التأثيرات بصفة واضحة في الجامع الكبير بتلمسان، أحد أهم وأعظم مساجد المغرب الأوسط، والذي يشبه إلى حد كبير جامع قرطبة، لاسيما في المحراب، الذي يشبه كثيرا محراب جامع قرطبة، سواء في الشكل والقوس، وحتى في النقوش التي تعلو

1 - ابن الخطيب، اللوحة البدرية، المصدر السابق، 42، الطوخي، المرجع السابق، ص ص 60-61، حسين مؤنس، "غرناطة تحفة من تحف الفن و عجيبة من عجائب التاريخ"، الكويت، مجلة العربي، العدد 89، ص ص 82-91.

2 - عبد العزيز سالم، المساجد و القصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986، ص 142.

3 - عن السلطان أبي الوليد أنظر ابن الخطيب السلماني، تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، ت: ليفي بروفنسال مكتبة الثقافة الدينية، 1998، ص ص 294-295.

4 - الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1997، ص 63.

5 - زغيريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، بيروت، منشورات المكتب التجاري، ط2، 1969، ص ص 474-475.

6 - ابن مريم، من أهل القرن العاشر الهجري البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشره عبد الرحمان طالب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986م، ص 127.

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

القوس"¹، وحتى الكتابات والزخارف الموجودة بجامع تلمسان هي شبيهة بتلك الموجودة بجامع قرطبة، وحتى الزيادات التي كانت تضاف إلى المسجد الكبير بتلمسان مشابهة لمسجد قرطبة.² أما التأثيرات الأندلسية في عهد بني زيان تبدو واضحة في الجانب المعماري وذلك راجع إلى الاهتمام الكبير من قبل السلاطين الزيانيين الذين حرصوا على جلب المهندسين والصناع من الأندلس مثل السلطان أبي حمو موسى الأول (817-808هـ/1406-1415م)، وابنه أبي تاشفين الأول (718-737هـ/1337-1318م)، الذين كانا مولعين بالبناء والتشييد، وخلفا آثارا هامة،³ وقد طلبا من السلطان النصري أبي الوليد إسماعيل (713-752هـ/1313-1351م) بأن يبعث لهما عدد من صناع الأندلس وفنانيتها لبناء القصور بتلمسان، وقد ازدهرت تلمسان في عهدهما إذ تزينت بالقصور والحدائق والجنات على غرار مدن الأندلس، وأهم تلك القصور: دار الملك، دار السرور، دار أبي فهر...⁴

كما يظهر التأثير الأندلسي واضح في جامع سيدي أبي مدين، والذي تشبه زخارفه الهندسية التي تكسو جدرانه زخارف قصر الحمراء بغرناطة، ويعد مسجد أبي الحسن الذي بناه السلطان أبو سعيد عثمان الأول صورة مماثلة لمسجد قصر الحمراء، كما نجد أيضا شبيها بين مئذنة المنصورة، ومئذنة جامع إشبيلية⁵

وعموما كان للأندلسيين دورا كبيرا في النهوض بالفن المعماري بالمغرب الأوسط لاسيما عاصمته تلمسان، وذلك راجع إلى الاتصال المباشر بين تلمسان والأندلس ودور المهاجرين الأندلسيين الذين توافدوا بكثرة على تلمسان، كان من بينهم عدد كبير من الفنانين والمهندسين كما سبق وأسلفنا.

¹ - صادق خشاب، تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغربي، نموذج تلمسان، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان، 2001، ص 98.

² - عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1982، ج 2، ص 60.

³ - يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 216.

⁴ - المصدر نفسه، ص 216.

⁵ - عبد العزيز سالم، قرطبة، المرجع السابق، ص 61.

2-2. الغناء والموسيقى:

عرف عبد الرحمان بن خلدون الموسيقى والغناء بقوله: «هذه الصناعة هي تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة، يوقع كل صوت منها توقيعا عند قطعة، فيكون نغمة، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعه»¹. وقد عرف فن الغناء انتشارا كبيرا في الأندلس، سيما بعد قدوم زرياب من بغداد في عهد عبد الرحمان الثاني (206-238هـ/822-852م)، فأعطى دفعة قوية للموسيقى خاصة بعد إنشائه لمعهد للموسيقى بقرطبة، كان له دور كبير في ازدهار هذا الفن.² وزاد هذا الفن انتشارا في عهد المرابطين ثم الموحيدين، إذ برز العديد من المغنيين، وشاعت مجالس الطرب عند العامة والخاصة، وظهرت مصنفات في هذا المجال ككتاب الأغاني الأندلسية ليحيى الحج المرسي في المائة السابعة الهجرية.³ أما في عهد بني الأحمر فقد عرف هذا الفن أوج ازدهاره، وشاع الغناء في غرناطة حتى في الدكاكين والمحلات،⁴ ومما ساعد على انتشاره تلك الأعياد والاحتفالات الكثيرة التي كانت تقام بغرناطة،⁵ إضافة إلى انتشار الموشحات والأزجال التي كانت تنظم لتغنى، وعرفت إقبالا واستحسانا كبيرين من قبل الأندلسيين.⁶ وبصفة عامة كانت الموسيقى عنصرا هاما في الحياة الاجتماعية بالأندلس سيما غرناطة التي عرف شعبها بعشقه الكبير للفنون الجميلة، وميله إلى الطرب.⁷ وساهمت الموسيقى الأندلسية في تطور الموسيقى بالدول المجاورة سواء الإسلامية، وحتى المسيحية، ومن ذلك المغرب الأوسط وعاصمته تلمسان التي هاجر إليها العديد من أهل الفن والموسيقي سيما الغرناطيين منهم، فساهموا بقسط كبير في انتشار هذا الفن، الذي اهتم به أهل المغرب الأوسط، ولا يزالون يحافظون عليه إلى يومنا هذا.⁸

1 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 469.

2 - روجي غارودي، الإسلام في الغرب، تر: ذوقان قرقوط، دمشق، دار دمشق للطباعة والنشر، ط1، 1995، ص 211.

3 - المقري، نفع الطيب، المصدر السابق، ج 4، ص 26.

4 - ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج 1، ص 36.

5 - عبد العزيز سالم، قرطبة، المرجع السابق، ص 117.

6 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 651.

7 - الطوخي، المرجع السابق، ص 130.

8 - شاوش، المرجع السابق، ص ص 171-172.

3. في الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

لم يقتصر التأثير الأندلسي في المغرب الأوسط خلال عهد بني زيان على الجانب الفني سواء العمران أو الموسيقى، بل تعداه إلى جوانب أخرى كالحياة الاجتماعية والاقتصادية، وكان ذلك نتيجة احتفاظ المهاجرين الأندلسيين الذين استقروا بالمغرب الأوسط بمميزاتهم وخصوصياتهم الأندلسية، وبعض عاداتهم وتقاليدهم، ومن بين تلك الخصوصيات اهتمامهم الكبير بشكلهم وأناقتهم، حتى قال فيهم لسان الدين بن الخطيب "كأنهم الأزهار المنفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة"¹، ومن بين الألبسة التي اشتهروا بها: الملف، وهو قطعة من القماش تلف حول نصف الجسد الأعلى، ويطرح طرف منها على الكتف، وهي ملونة، وتختلف ألوانها بحسب الثروة والمكانة، كما كانوا يلبسون اللباس المغربي، المعروف اليوم بالجلابية.²

أما النساء فكن يبالغن في التفتن بزينةهن، ويتنافسن في اقتناء الحلي وأنواع الجواهر.³ وغرف عن الأندلسيين كذلك العناية بنظافة أجسامهم وثيابهم،⁴ لدرجة أنه كان البعض منهم يبيع كل ما عنده ليققات به في ذلك اليوم ليشتري به صابونا يغسل به ثيابه، وعرفوا أيضا بالاحتياط، وحسن التدبير في المعاش، وحفظ ما بأيديهم خوف ذل السؤال، ولذلك كثيرا ما كانوا يوصفون بالبخل،⁵ وكان أهم غذائهم القمح والذرة،⁶ إضافة إلى الأرز والعدس والثريد والكسكس والسّمك، وأنواع من الحلوى.⁷

وبعد الهجرات الأندلسية المتتالية على بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، واستقرارهم بمواطنهم الجديدة، بقوا محتفظين بتلك العادات، ومحافظين على نمط

1 - ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج 1، ص 35، ابن الخطيب، للمحة البدرية، المصدر السابق، ص 38.

2 - ابن الخطيب للمحة البدرية، المصدر نفسه، ص 38-41، حسين مؤنس، "غرناطة تحفة من تحف الفن"، المرجع السابق، ص 70.

3 - ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج 1، ص 38.

4 - أبو حامد الأندلسي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 62.

5 - المقري، نفع الطيب، المصدر السابق، ج 1، ص 183.

6 - ابن الخطيب، للمحة البدرية، المصدر السابق، ص 40.

7 - الطوخي، المرجع السابق، ص 88-92.

حياتهم ومعيشتهم لاسيما داخل البيوت، وأهمها طريقة تحضير الطعام، واللباس، ومشاركة المرأة مجالس الرجال والحديث، كما احتفظوا بفنونهم، وحرفهم.¹

وقد تأثر سكان المغرب الأوسط كثيرا بتلك العادات، والخصائص المميزة للأندلسيين، سواء تلك المتعلقة بالأكل واللباس، فأخذوا عنهم طرق طبخ العديد من الأطعمة والحلويات، وكذلك ظاهرة الاعتناء بالبساتين والمنتزهات، وأمور أخرى.²

أما المجال الاقتصادي فهو الآخر كان للأندلسيين فيه تأثير، إذ كما سبق وذكرنا أنه كان من بين المهاجرين عدد كبير من الفلاحين والصناع والحرفيين الذين انتشروا بأراضي المغرب الأوسط، وشيدوا به قرى وبساتين، كما أسسوا مصانع ومناجم كثيرة، وعملوا في الحقول والمزارع.³ وبما أنه كان للأندلسيين خبرة كبيرة في مجال المياه والسقي، فقد عاد ذلك بالنع والفائدة على الفلاحة بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، كما اختص الكثير من الأندلسيين ببعض الحرف التي كانوا يمارسونها في الأندلس، كصناعة الجلود، نجارة الخشب، فن الخطوط، الطرز، نسج الحرير، حياكة القطن، غزل الصوف، بينما اشتغل آخرون في التجارة، وقد عاد ذلك بالنع على المغرب الأوسط، إذ قلدهم الناس في الكثير من أعمالهم، وصنائعهم.⁴

ب-: التبادل العلمي

1. المراسلات العلمية وتبادل المصنفات:

لقد كانت بين علماء المغرب الأوسط في العهد الزياني، وأقرانهم الأندلسيين علاقات طيبة، مبنية على التبادل العلمي من خلال تبادل المصنفات، وإبداء الرأي والمشورة، والاستفسار والفتوى، زاد من تقويتها سيادة مذهب واحد في القطرين، ألا وهو المذهب المالكي.

فكان الكثير من علماء الأندلس يستفتون علماء المغرب الأوسط، كلما استصعبوا أمرا أو مسألة، ومثال ذلك ما كان يفعله عالم الأندلس الشهير أبو سعيد بن لب الغرناطي (ت 782هـ/1381)،⁵ الذي كان كلما استصعب أمرا، أو استشكلت عليه مسألة، بعث إلى أبو عبد الله الشريف التلمساني (710-771هـ/1310-1369م) اليوضحها له، ويبين له ما أشكل عليه،

1 - ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، تر: ذوقان قرقوط، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، (د.ت)، ص30.

2 - صادق خشاب، المرجع السابق، ص 103.

3 - عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج 1، ص176.

4 - المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 4، ص7.

5- أنظر محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ج 1 ص ص 230-231.

وكل ذلك إقراراً له بعمله وفضله،¹ وكان لسان الدين بن الخطيب صاحب التأليف العديدة، كلما ألف كتاباً بعثه إلى الشريف التلمساني، ليعرضه عليه، ويطلب منه أن يكتب فيه بخطه، ويبيد فيه رأيه،² كما كان (لسان الدين بن الخطيب) على صلة بشيخه وأستاذه أبا عبد الله بن مرزوق الخطيب فكان دائماً يشيد به، وفضله عليه، ويكاتبه ليعرض عليه أعماله، ويعلق عليها، وقد ذكر المقرئ في نفع الطيب، أنه رأى في كتاب الإحاطة لابن الخطيب تعقيبات بخط أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب.³

وكثيراً ما كان يبعث له طلباً غرناطية أسئلة، ويطلبون إجابته، وفتواه في عدة مسائل، وعلى سبيل المثال لما حصل نزاع بين طلبه غرناطية حول عدة أمور تتعلق بالطهارة، كتب أحد الطلبة رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب، ومما جاء فيها:

«... شيخنا وبركتنا ووسيلتنا إلى الله تعالى، سيدي محمد بن مرزوق، أدام الله للإسلام حياته، وحفظ في الوجود أوقاته... تلميذكم أحمد الحسني لطف الله به، وبعد: فالذي أطلب منكم النظر في جوابنا على الفرق بين مسألة المتيمم يطلع عليه إنسان وهو في الصلاة معه ماءه، يتمادي (يوصل الصلاة) ولا يقطع، والمعتدة بالشهور ترى الحيض بعد أن مر أكثرها، ترجع إليه...».

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على قوة العلاقة التي كانت تربط علماء الأندلس بعلماء المغرب الأوسط في العهد الزياني، وبذلك على المكانة التي كان يتمتع بها علماء المغرب الأوسط بين أقرانهم في تلك الفترة.

وكان لسان الدين بن الخطيب متعلقاً كثيراً بتلمسان، وقال فيها العديد من القصائد والأشعار، ويذكر أنه شرع في كتابة كتاب عنها سماه: «أنواء نسيان في أنباء مدينة تلمسان»، لكنه لم يتمه بعد ارتحاله من تلمسان إلى فاس.⁴

كما كان عبد الرحمان بن خلدون (732-808هـ/1332-1406م) أحد أعمدة التبادل الثقافي بين المغرب الإسلامي ككل والأندلس، من خلال تنقلاته بين أرجاء المغرب والأندلس،

¹ - المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق، ج 7، ص 152

² - المقرئ، المصدر نفسه، ابن مريم، المصدر السابق، ص 175.

³ - ابن مريم، المصدر نفسه، ص 142.

⁴ - المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق، ج 8، ص 316.

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

ودوره في تلك الأقطار، وكانت بينه وبين علماء الأندلس علاقات ومراسلات عديدة، لاسيما مع الوزير لسان الدين بن الخطيب.¹

وكان الكثير من علماء المغرب الأوسط يبعثون إلى علماء الأندلس، سواء للاستفسار عن أمور معينة، أو لطلب المعونة، مثلما فعل أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب عندما شرع في شرح كتاب الشفا للقاضي عياض، إذ بعث إلى علماء وشعراء الأندلس ليكتبوا له مدحا فيها،² وقد أجابه أبو عبد الله بن زمرك (733-797هـ/1333-1396م)³ بقصيدة جاء فيها:

ولا مثل تعريف الشفا حقوقه فقد بان فيه للعقول جميعها
بمرأة سن قد جلتها يد النهي فأوصافه يلتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء والمداد يجنها وأسرار غيب واليراع تذيعها
لقد حزت فضلا يا أبا الفضل شاملا فيجزيك عن نصح البرايا شفيعها
والله من تصدى لشرحه فلباه من غير المعاني مطيعا
فكم مجمل فصلت منه وحكمة إذا كتم الإدماج منه تشيعا
محاسن والإحسان يبدو خلالها كما افتر عن زهر البطاح ربيعها.⁴

2. المراسلات الإخوانية:

جرت بين علماء الأندلس وعلماء المغرب الأوسط في عهد بني زيان العديد من المراسلات الإخوانية أو الأخوية، فضلا عن الرسائل المتعلقة بالفتوى والاستفسار وكانت جل تلك الرسائل تندرج في إطار التهئة والشكر والمدح والوصف والشفاعة والترحيب وإظهار الود...⁵ وكان لسان الدين بن الخطيب أبرز الأندلسيين الذين امتازوا بكثرة مراسلاته مع علماء المغرب الأوسط، وقد ذكرت المصادر العديد منها، لاسيما التي كانت بينه وبين شيخه أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب، ومنها رسالة بعثها له ردا على كتاب ابن مرزوق مطلعها:

¹ - عبد الرحمن ابن خلدون ، رحلة ابن خلدون ، عارضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي ، بيروت ، الناشر:

دار الكتب العلمية، - لبنان الطبعة: 1، 1425 هـ - 2004، ص ص 99-107

² - الونشريسي، المصدر السابق، ج 11، ص 143.

³ - ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ،تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1963،

ص 282، المقري، نفع الطيب، المصدر السابق، ج 9، ص ص 25-29

⁴ - المقري، نفع الطيب، المصدر نفسه، ج 9، ص ص 17-19، ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر نفسه ج 2، ص ص 236-

237.

⁵ - عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج 2، ص 461.

«يم أفاتحك يا سيدي وأجل عددي؟، كيف أهدي سلاما فلا أضر ملاما؟ أو أنتخب لك كلاما فلا أجد لتبعه التقصير في حقك إيلاما؟...»

سلام وتسليم وروح ورحمة عليك وممدود من الظل سجسج¹

وما كان فضلك ليمنعني الكفران أن أشكره ولا لينسيني الشيطان أن أذكره²

ورسائل أخرى يمدح فيها شيخه ابن مرزوق الخطيب، ويقر بفضلها، ورسائل يشكو له فيها ضيق حاله، والمال الذي آل إليه،³ ونظرا للمكانة التي كان يتمتع بها الشيخ أبا عبد الله بن مرزوق الخطيب، سواء عند الخاصة أو العامة، فقد بعث له لسان الدين بن الخطيب عدة رسائل، بعد النكبة التي تعرض لها و فراره إلى المغرب، يطلب منه فيها الشفاعة له.⁴

كما جرت بين لسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمان بن خلدون عدة مراسلات، إذ لما حل ابن خلدون بالأندلس بعث له ابن الخطيب برسالة يرحب فيها بقدمه، ويهنئه ومطلعها:

حللت حلول الغيث بالبلد المحل على الطائر الميمون والرحب والسهل

يمينا بمن تعنوا الوجوه لوجه من الشيخ والطفل المهدي والكهل

لقد نشأت عندي للقياك غبطة تنسي اغتباطي بالشبيبة والأهل

وودي لا يحتاج فيه الشاهد وتقرير المعلوم ضرب من الجهل⁵

ولما حل لسان الدين بالمغرب الأوسط بعث برسالة لابن خلدون الذي كان ببسكرة جاء فيها:

من أنكر غيثا منشؤه في الأرض وليس بمخلفها

شكرت حتى بعبارتها وبمعناها وبأحرفها

مزن منذ كل ببسكرة يوما نطقت بمصحفها⁶

بالإضافة إلى رسائل أخرى عديدة بعثها له وهو بالمغرب الأوسط، يعبر له فيها عن حبه له وشوقه للقاءه،⁷ وكان عبد الرحمان بن خلدون هو الآخر يرد عليه برسائل، يعبر له فيها عن

1- سجسج : يوم سجسج أي يوم معتدل، لا حر فيه و لا برد.

2- لسان الدين بن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، ت: محمد عبد الله عنان الناشر: مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع الطبعة:1، 1980 م، ص 145، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج8 ص 121.

3 - المقري، المصدر السابق، ج7، ص 308.

4 - المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج8، ص ص 93-94.

5 - ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص 84، ابن الخطيب، ربحانة الكتاب، المصدر السابق، ص 185.

6 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 101-102، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج8، ص ص 97-99.

7 - ابن خلدون، المصدر نفسه، ص ص 99-118

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

مدى شوقه هو الآخر للاقائه، ومن ذلك رسالة مطلعها: "سيدي مجدا، وعلوا، وواحدي ذخرا مرجوا، ومحل والدي برا وحنوا، ما زال الشوق، منذ نأت بي وبك الدار، واستحكم بيننا البعاد يرعي سمعي أنباتك، ويخيل إلي من أيدي الرياح تتاول رسائلك.¹

كما كانت بين لسان الدين بن الخطيب و يحيى بن خلدون مراسلات، بعدما تولى هذا الأخير الكتابة لدى السلطان أبي حمو موسى الثاني.²

وبالإضافة إلى رسائل التهنية والمدح، كانت هناك مراسلات من نوع آخر، تمثلت في رسائل الشفاعة، والتي كانت تبعث من قبل أحد العلماء أو الوزراء لأحد سلاطين المغرب أو الأندلس بغرض الشفاعة لعالم محتجز أو محل تهديد، ومن ذلك ما كتبه لسان الدين بن الخطيب على لسان السلطان النصري يوسف الأول إلى أبي عنان فارس المريني، للعفو عن الشيخ أبي عبد الله بن مرزوق الخطيب، الذي فضل الاستقرار بغرناطة، ورفض مواصلة الخدمة لدى السلطان أبي عنان، وكتبت الرسالة سنة 754هـ/1353م، ومما جاء فيها: "... إن الشيخ الفقيه الخطيب أبا عبد الله بن مرزوق ورد علينا، واستقر لدينا، وهو من جملة الفضل...، ولذلك نخاطبكم في شأنه ونستمطر له من مقامكم سحائب إحسانه، ونرغب منكم في تيسير أمله ورغبته وإسعاف قصده، و نبل طلبه".³

وفي هذا المجال أيضا بعث قاضي الجماعة بغرناطة أبو القاسم الحسن والشيخ الخطيب أبو البركات بن الحاج البليقي، برسالة إلى السلطان أبي عنان المريني للشفاعة للشيخ محمد أبي بكر المقرئ الذي دخل الأندلس سنة 757هـ/1356م في سفارة من سلطان المغرب، ولما وصل الأندلس أراد الاستقرار بها، ونبذ الخدمة فتوعده أبو عنان، فصدرت الشفاعة من العالمين المذكورين، على لسان السلطان محمد الخامس ، ومما جاء فيها:

¹ - ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص ص 99-118.

² - المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق، ج8، ص101.

³ - لسان الدين بن الخطيب ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة و المغرب في القرن الثامن الهجري ، ت : محمد كمال شبانة ، القاهرة. الناشر ، سلسلة تراثنا وزارة الثقافة - المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر و دار الكتاب العربي 1966، ص ص 160-161.

"... إنا خاطبنا مقامكم الكريم في شأن الشيخ الصالح أبي عبد الله المقرئ،... ونسألكم أن تبيحوا له الغرض الذي رماه بعزمه، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من الذنكم غير مكملة الآراب...".

1

إن هذه الرسائل التي ذكرناها، وغيرها من الرسائل الأخرى العديدة المتبادلة بين علماء الأندلس وعلماء المغرب الأوسط في عهد بني زيان، لدليل واضح على متانة العلاقة بين علماء القطرين في تلك الفترة، و تعد مظهرا من مظاهر العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس.

ج- حركة العلماء بين المغرب الأوسط والأندلس

1. دوافعها:

كانت حركة العلماء بين المغرب الأوسط في عهد بني زيان والأندلس، بصفة عامة، وبين تلمسان وغرناطة بصفة خاصة نشيطة، مما ساهم بقسط كبير في تمتين الروابط الثقافية بين القطرين، وكانت دوافع هذه الحركة متعددة أهمها:

1-1. طلب العلم و الإجازة :

تعد الرحلة في طلب العلم شرط أساسي في التعلم، ولا بد منها، نظرا لما يكتسبه الطالب من خلال التقائه بالمشايخ على اختلاف طرقهم ومناهجهم التعليمية،² فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون التحصيل العلمي أفضل وأرسخ، كما تفيد الرحلة في طلب العلم على تمييز الاصطلاحات المختلفة وفهمها.³

ولذلك كان الطلبة لا يكتفون بما يتلقونه من العلوم في مدنهم، فيجوبون مختلف البلدان، وأهم المراكز الثقافية، للقاء أكابر العلماء والأخذ عنهم، رغم مشقة السفر وصعوبة الرحلة،⁴ فكان طلبة المغرب الأوسط ينتقلون بين أرجاء المغرب الإسلامي ليدرسوا بحواضره الثقافة كغرناطة، فاس، مراكش، بجاية، تونس،... أو إلى بلاد المشرق الإسلامي ليأخذوا عن شيوخ القاهرة ودمشق وبيغداد، فضلا عن شيوخ الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، وبيت المقدس....⁵

1 - ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص ص 141-143، الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص ص 199-201

2 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 598

3 - حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، إستنبول، 1941، ص ص 42-43.

4 - لحضر عبدلي، المرجع السابق، ص 99

5 - شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص

وفي المقابل كان طلبة غرناطة، والأندلس بصفة عامة، يجيزون إلى المغرب والمشرق الإسلاميين، للاستزادة من العلم والمعرفة، ومنها حاضرة تلمسان، للأخذ على أكابر علمائها كابن مرزوق الخطيب، وأبو عبد الله الشريف التلمساني، وأحمد ابن زاغو المغراوي، وقاسم العقباني، وابني الإمام وغيرهم.¹

ومن أهم دوافع الرحلة في طلب العلم، بالإضافة إلى حب العلم والاستطلاع واكتشاف أشياء وأماكن جديدة، والتعرف على مدن وأقاليم عديدة،² بالإضافة إلى ذلك كان الطلبة يرتحلون بين أرجاء المغرب والمشرق الإسلاميين طلبا للإجازة والإجازة عند المحدثين هي الإذن في الرواية لفظا أو كتابة، وكانت لا تمنح إلا لمن يدرس علم الحديث، ثم صارت تمنح في كل العلوم والفنون،³ وهي تعتبر شهادة كفاءة أو تأهيل، بواسطتها يستحق الطالب المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم المجاز بها، ولا تعطي الإجازة إلا بعد القراءة على الشيخ المجيز، وملازمته أياما وشهورا، وفي بعض الأحيان عدة أعوام،⁴ وحرص الطلاب على الحصول على أكبر عدد من إجازات الشيوخ والعلماء، كما كانوا يحرصون أيضا على معرفة أفاضل الأمة من الصحابة والتابعين والفقهاء، ومعرفة تاريخ ولادتهم ووفاتهم، ومعرفة من روى عنهم شيوخهم وأساتذتهم،⁵ وهو ما كان يعرف بسند التعليم، فيقول الطالب أخذت كذا عن شيخي فلان عن فلان عن فلان... إلى أن يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم،⁶ وحرصوا على أن لا ينقطع سند التعليم بالمغرب الإسلامي والأندلس والذي كاد أن ينقطع بسبب اختلال العمران وتناقصه، ما دام أن العلم من جملة الصنائع، فيكثر حيث يكثر العمران والحضارة.⁷

1-2. رحلة الحج:

صلة المغرب الإسلامية الروحية بالمشرق الإسلامي دائمة وقوية، نظرا لاحتوائه (المشرق) على أماكن مقدسة، وكان مهبط الوحي، فكان المغاربة على غرار بقية المسلمين يولون وجوههم

1 - الاقتصادي، المصدر السابق، ص ص 96-108

2 - الاقتصادي، المصدر نفسه، ص 59.

3 - شاوش، المرجع السابق، ص 405.

4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ج2، ص ص 41-42.

5 - ابن مريم، المصدر السابق، ص 308.

6 - الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 16.

7 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص 599-602.

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

شطره، لأداء الركن الخامس من الإسلام، وهو فريضة الحج، فضلا عن زيارة الأماكن المقدسة، والأخذ عن مشاهير العلماء.¹

وكانت لتلك الرحلة مكانة كبيرة في قلوب المغاربة، حتى أن كتب التراجم المغربية، كانت تحرص على ذكر رحلة العالم الذي تترجم له، فكانت تلك الرحلة بمثابة الوسام العلمي أو الإجازة التي تزيد من مكانة الطالب العلمية،² وقد أدت تلك الرحلة دورا هاما في تمتين الروابط والعلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس من جهة وباقي الأقطار الإسلامية من جهة أخرى، نظرا لما كان يحصل أثناءها من النقاء بين الطلبة والشيوخ، سواء بمكة المكرمة أو المدن التي يزورونها قبل وبعد أداء فريضة الحج، كالإسكندرية، القاهرة، دمشق، بغداد، القدس، والمدينة المنورة، هذه الأخيرة كانت من أهم المدن التي يحرص المغاربة على النزول بها، قصد زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، لما ورد في ذلك من فضل، ولذلك كان الكثير من علماء الأندلس والمغرب الأوسط يفضلون الإقامة والاستقرار بها، وذلك ما عبر عنه العالم أبو عبد الله يحيى بن علي الغرناطي (671-715هـ/1272-1315م) بقوله:

إذا كنت جارا للنبي وصحبه ومكة بيت الله مني على قرب

فما ضرني إن فاتني رغد عيشه وحسب الذي أوتيته نعمة حسبي³

وبينما فضل الكثير من العلماء والطلبة الاستقرار بالمشرق الإسلامي، كان البعض الآخر يكتفي بأداء الفريضة، وأخذ الإجازة عن بعض علماء المشرق دون إطالة الإقامة.⁴

ولما كانت مدينة تلمسان تقع على طريق الحج بالنسبة للأندلسيين، فكان لا بد من الاجتياز بها،⁵ والنزول بها، وذلك ما عبر عنه لسان الدين بن الخطيب في وصفه المدينة تلمسان، إذ قال: "إنها للمغرب بابا، ولركاب الحج ركابا"،⁶ وقد ساعد ذلك كثيرا على تمتين العلاقات الثقافية بين الأندلس والمغرب الأوسط، وقد كان للأوضاع السياسية بالأندلس والمغرب الأوسط خلال

1 - الفلصادي، المصدر السابق، ص 59.

2 - عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، القاهرة، دار الشروق، ط1983، ص90.

3 - المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 2، ص 225.

4 - إبراهيم بلحسن، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7 إلى 10هـ/ 13 إلى 16م، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان، 2004، ص 120.

5 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 151.

6 - ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 85.

القرن الثامن والتاسع الهجريين أثر على رحلة الحج، التي تراجعت خلال هذين القرنين، نظرا لتدهور الأوضاع السياسية لاسيما بالأندلس، التي اشتدت بها ضربات النصارى للمسلمين، فأصدر الكثير من العلماء عدة فتاوى تفضل الجهاد على الحج.¹

1-3. أسباب أخرى:

إضافة إلى الرحلة لطلب العلم، ورحلة الحج اللتين كانتا من أهم دوافع حركة العلماء، وانتقالهم بين المغرب الأوسط والأندلس، كانت هناك دوافع أخرى جعلتهم ينتقلون بين القطرين، إذ هاجر الكثير من العلماء لأسباب سياسية، تمثلت بالدرجة الأولى في تدهور الأوضاع، لاسيما بالأندلس، وذلك بعد سيطرة النصارى على عدة مدن،² وقد ذكر الكثير من العلماء في كتبهم ومصنفاتهم أنه من أسباب هجرتهم هو تغلب النصارى على مدنهم،³ وكذلك الأمر بالنسبة لعلماء المغرب الأوسط، الذين هاجر الكثير منهم الأسباب السياسية، وقد ذكر عبد الرحمان بن خلدون أنه من أسباب رحلته عن تلمسان هو اضمحلال أمر صاحبها.⁴

وبالإضافة إلى تدهور الأوضاع السياسية، اضطر الكثير من العلماء إلى الارتحال عن مدنهم نتيجة الضغط والتضييق الذي عانوه من قبل الحكام، بسبب التعصب المذهب معين، وعلى سبيل المثال ما حصل للعالم والشاعر أبو جعفر بن صابر الذي كان كاتباً للأمير أبي سعيد بن فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الأحمر، وكان هذا الكاتب على المذهب الظاهري، فاضطر إلى مغادرة الأندلس، بعدما توعدده السلطان بقطع يده التي كان يرفعها في الصلاة، فغادر الأندلس، وقال: "إن إقليمات مات فيه سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى يتوعد بقطع اليد من يقيمها الجدير أن يرحل منه،⁵ كما أن العالم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلبي خرج من تلمسان هاربا، لأن سلطانها أبو حمو موسى الأول، كان يكرهه على التصرف في أعماله ويجبره على جمع الجباية.⁶

1 - القلصادي، المصدر السابق، ص ص 66-67.

2 - يحيى بن خلدون، المصدر السابق ج 1، ص 129.

3 - محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلاة، ت: معروف، بشار عواد، تونس، دار الغرب الاسلامي، ط1، 2011، ص ص 146-147

4 - ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص 126.

5 - المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 3، ص ص 244-245.

6 - ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص 41.

وكثيرا ما كانت تقع منازعات بين الطلبة وشيوخهم، فيضطر بعض الطلبة إلى مغادرة المدينة، ومثال ذلك ما وقع بين أبو حيان الأندلسي الذي غادر الأندلس سنة 699هـ/1300م، وشيخه أحمد بن علي بن الطباع، إذ كان أبو حيان كثير الاعتراض على شيخه، وصنف كتابا سماه "الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع"، فرجع ابن الطباع أمره للأمير محمد بن الفقيه، فاضطر أبو حيان لمغادرة الأندلس.¹

ونظرا لكون القضاء من أسنى الخطط والوظائف الدينية وأصعبها،² كان الكثير من العلماء يرفضها، واضطر العديد منهم للارتحال والفرار بنفسه عنها، مثلما حصل لأبي عبد الله المقري، الذي اشتغل لمدة في القضاء، ثم كره الحكم بين الناس وفضل الارتحال،³ و نفس الأمر حصل للعديد من العلماء الآخرين.⁴

ومهما كانت الدوافع والأسباب التي دعت العلماء والطلبة إلى الرحلة، فما هو أكيد أن هذه الرحلات، قد عادت بالنفع على المغرب الأوسط والأندلس على حد سواء، لا سيما في المجال الثقافي، إذ أدى هؤلاء العلماء المرتحلون دورا كبيرا في ربط المغرب الأوسط ثقافيا بالأندلس.

2. دور العلماء في العلاقات الثقافية :

كان للعلماء سواء علماء المغرب الأوسط أو علماء الأندلس خلال العهد الزياني دورا كبيرا خاصة في المجال العلمي، إذ كان لهم الدور الأوفى في تمتين العلاقات الثقافية بين القطرين، من خلال تنقلاتهم ورحلاتهم المستمرة بين المغرب الأوسط والأندلس واشتغالهم في المناصب الهامة كالتدريس والخطابة والقضاء والسفارة... مما يخول لهم المشاركة بطريقة مباشرة في الحياة الثقافية، كابن خطاب المرسي الأندلسي الكاتب والأديب المشهور الذي استعمل في الكتابة السلطانية بغرناطة ثم غادرها إلى تلمسان⁵ ونزل على سلطانها يغمراسن بن زيان الذي عينه كاتباً له،⁶ فنقل خبراته إلى تلمسان، وساهم بقسط وافر في ازدهار الحياة الأدبية بها، وابن خميس

1 - المقري، نفع الطيب، المصدر السابق، ج 3، ص 186.

2- أبو الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تح: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط5، 1983، ص5.

3- النباهي، المصدر السابق، ص 169.

4- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 68-70

5- يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 129.

6- يحيى بن خلدون، المصدر نفسه، ص 205

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

التلمساني شاعر المائة السابعة¹ الذي ولاه السلطان الزياني أبو سعيد بن يغمراسن ديوان الإنشاء ولازم التدريس بالمغرب الأوسط والأقصى، ثم انتقل بعدها إلى غرناطة واشتغل بالتدريس هناك كذلك، فساهم مساهمة فعالة في نشاط الحركة الأدبية بها، وذلك من خلال قصائده الكثيرة، لاسيما في وصف موطنه الأصلي تلمسان،² فكان بمثابة حلقة الوصل التي تربط المغرب الأوسط بالأندلس، وكذلك لسان الدين بن الخطيب الوزير الغرناطي الذي استعمل في السفارة فصدرت عنه الكثير من الرسائل والقصائد إلى سلاطين وأمراء المغرب الإسلامي كأبي حمو موسى الثاني، وكانت بيه وبين علماء زمانه مثل عبد الرحمان بن خلدون وابن مرزوق الخطيب مراسلات عديدة³ وقد زار تلمسان أيام المحنة التي تعرض لها بالأندلس وفراره إلى المغرب، فأعجب بها كثيرا، وما تلك الأوصاف التي وصفها بها (قاعدة الملك، واسطة السلك، قلادة النحر حاضرة البر والبحر...)⁴ وما القصائد الكثيرة التي قالها فيها إلا دليل على ذلك الإعجاب، ومما قاله فيها من الشعر:

حيا تلمسان فربوعها صدف وجود بدورها المكنون

ما شئت من فضل عميم إذا سقا أروى ومن ليس باليمنون

أو شئت من دين إذا قدح الهدى أو روى ودنيا لم تكن بالدون

ورد النسيم لها نشر حديقة قد ازدهرت أفنائها بفنون⁵

والعالم ابن مرزوق الخطيب الذي رحل إلى الأندلس ونزل على سلطانها أبي الحجاج يوسف الأول الذي بالغ في إكرامه⁶ وعينه خطيبا بجامع غرناطة ومدرسا به، فأخذ عنه الكثير من طلبة الأندلس وانتفعوا بعلمه كلسان الدين ابن الخطيب وأبو عبد الله بن زمرك اللذان بقيا على اتصال بشيخهما حتى بعد مغادرته الأندلس، ويتجلى ذلك من خلال تلك الرسائل الكثيرة المتبادلة بينهم والتي سبق الإشارة إليها.⁷

¹ - يحيى بن خلدون، المصدر نفسه، ص 109.

² - يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص ص 86-87، المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 8 ص 312،

³ - ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص ص 99-107، المقري، نفح الطيب، المصدر نفسه، ج 7 ص 142.

⁴ - ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 85-86.

⁵ - المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 8، ص 310.

⁶ - ابن الخطيب، كناسة الدكان، المصدر السابق، ص 160.

⁷ - المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 8، ص ص 93-121.

هذه فئة قليلة من العلماء الذين شاركوا بدور كبير في تمتين العلاقات الثقافية وربط المغرب الأوسط ثقافيا بالأندلس.

ثالثا : العلاقات الدينية بين المغرب الأوسط و الأندلس

أ- التسامح المذهبي

يعتبر التسامح المذهبي من العوامل المذهبية المساهمة في ربط صلات ثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس ، فقد تميزت الرستمية الإباضية بمجموعة من المميزات ساهمت بشكل مباشر في تمتين الصلة مع الدول المجاورة خاصة مع الأندلس رغم الاختلاف المذهبي، وذلك راجع لطبيعة المذهب الإباضي الذي يعتبر من اعدل المذاهب الخارجية وأقربها إلى أهل السنة،¹ فلم يشكل ردة فعل عنيفة من طرف العامة في المغرب الأوسط ضد المذهب وإنما اعتنقه ودافعوا عنه بشكل كبير ولئن قاوم الأمويون وعلماء المالكية مذاهب الخوارج باعتباره بدعا فإن موقفهم من المذهب الإباضي كانت له نظرة أخرى بسبب اعتدال الإباضية واقتربا مذهبهم الى المذهب المالكي.²

وقد ساهم التسامح المذهب بتواند مختلف الطوائف والفرق إلى تيهرت حيث يقول ابن الصغير > ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتي بين أظهرهم... حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي وهذا مسجد القرويين ورحبتهم وهذا مسجد البصرة وهذا مسجد الكوفيين،³ وكان الإمام أبو اليقظان قد أمر أن لا يمنع أحد من الصلاة في المسجد وهذا ما ذكره ابن الصغير ومنها الإباضية لا يمنعون أحد من الصلاة في مساجدهم ولا يكشفونه عن حاله ولو رأوه رافعا يديه ما خلال المسجد الجامع...⁴

وفي هذا التنوع الاجتماعي دلالة كبيرة على التنوع المذهبي ومدى التسامح بين هذه الطوائف ومذهب الدولة لدرجة الاستقرار بها واتخاذ مساجد خاصة بكل طائفة وقد وجدت بتيهرت الكثير من الفرق الإسلامية كالصفرية والواصلية والمالكية والحنفية، ومن مميزات أيضا مشاركة مختلف

¹ - ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل و الأهواء و النحل، تح: محمد ابراهيم نصر عبد الرحمن عميرة، بيروت، دار الجيل، 1996، 2، ج2، ص 266.

² - جودت عيد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 170.

³ - ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر، ابراهيم بجاز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985، ص31-32.

⁴ - ابن الصغير، المصدر السابق، ص77.

المذاهب في المناظرات العلمية التي كانت تقام خاصة في تيهرت فقد كان من أتى إلى حلق الاباضية من غيرهم فربوه و ناظروه أطف مناظرة¹.

إن الواقع السياسي للدولة الرستمية جعلتها تتبع سياسة معينة قائمة على السلم والهدوء والتعايش بسلام مع جيرانها رغم اختلاف النظم السياسية في بلاد المغرب الإسلامي، فقد نجحت تيهرت في تكييف واقعها وسياستها حفاظا على حسن العلاقات بعيدا عن النزاعات والحروب، الأمر الذي ساهم في توثيق الصلة مع دول الجوار فالعامل الديني والتسامح وحرية التفكير والمعتقد ساعد على انفتاح تيهرت على عواصم الدول وانتقال الكثير من الرعايا منها وإليها دون عوائق².

كل هذه المميزات إلى جانب الوفاق السياسي والعلاقات الاقتصادية كان لها دور فيربط صلات ثقافية متينة بين القطرين فأضحى المغرب الأوسط الحسر الذي ضمن استمرار تدفق الحضارة من المشرق إلى الأندلس.

ب- الوحدة المذهبية (المذهب المالكي بالمغرب الأوسط و الأندلس)

من العوامل التي ساعدت على تمتين العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي بصفة عامة مع الأندلس الوحدة المذهبية، أي سيادة مذهب واحد وهو المذهب المالكي في القطرين³.

والمذهب المالكي هو أحد المذاهب السنية الأربع المشهورة في الفقه الإسلامي⁴ ينسب لصاحبه مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر المولود سنة 93هـ/712م والمتوفي سنة 179هـ/

¹ - ابن الصغير، المصدر السابق، ص 102.

² - بلخير، العلاقات السياسية بين الدولة الرستمية و دول المغرب خلال القرن الثالث الهجري التاسع ميلادي، مجلة المقتطف المصري التاريخي، العدد 5 جويلية، 2016، ص 39-40.

³ - محمد بو عياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص 55.

⁴ - المذاهب السنية المشهورة في الفقه هي : المذهب المالكي اتبعه بصفة خاصة أهل المغرب الإسلامي المذهب الشافعي اتبعه أهل مصر، الحنبلي اتبعه أهل الشام وبغداد، والمذهب الحنفي اتبعه أهل الهند والصين وخراسان...، ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الجيل، (د.ت)، ص ص 496-497.

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

795م،¹ إمام أئمة دار الهجرة، وهي المدينة المنورة، لكونه درس وعاش بها،² كان جامعاً للحديث الشريف وحافظاً له، حتى لقب بأمير المؤمنين في علم الحديث،³ وقد قال فيه الإمام الشافعي: «أخذت العلم عن مالك، وجعلته بيني وبين الله حجة، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، وما على الأرض كتاب أقرب إلى القرآن من موطنه»⁴

وقد اختص بهذا المذهب أهل المغرب والأندلس بصفة خاصة، والذين لم يقلدوا غيره إلا في القليل، ومرد ذلك إلى أن أهل المغرب الإسلامي كانوا في رحلتهم إلى الحج ينزلون بالمدينة المنورة، سواء لزيارة قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - لما في ذلك من فضل،⁵ أو لطلب العلم والأخذ عن شيخها وإمامها مالك الذي كثرت إليه الرحلة في ذلك العصر،⁶ كما أن أهل المغرب وجدوا هذا المذهب يتماشى مع عقليتهم وطبيعتهم، بالإضافة كونه مذهب عملي أكثر مما هو نظري، وفقهه بسيط وواضح وليس فيه تعقيد،⁷ ونظراً لكون أهل المغرب الإسلامي بدويون بطبيعتهم فكانوا أميل إلى أهل الحجاز للتشابه بينهم في البداوة، ولم يقلدوا أهل العراق الذين كانت تغلب عليهم الحضارة.⁸

- 1 - اختلف في سنة ولادته بين سنوات 93 هو 94هـ و 95هـ الموافق ل712م، 713م، 714م، محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، دار الكتاب العربي، 1949، ص27.
- 2 - أحمد الدردير، الشرح الصغير على مختصره المسمى "أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك"، الجزائر، مؤسسة المنشورات الإسلامية، 1992، ج 1 ص3.
- 3 - عبد الحميد حاجيات، "الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان"، مجلة الأصالة، العدد 26، جويلية أوت 1975، ص139.
- 4 - محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص53.
- 5 - وردت أحاديث كثيرة في فضل زيارة قبر المصطفى - صلى الله عليه وسلم - منها قوله : « من زار قبري وردت له شفاعتي » وأيضاً: « من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي، وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرنني فليس له عذر»، أنظر محمد بن محمود بن النجار، الذرة الثمينة في أخبار المدينة، مكة، دار إحياء الكتب العربي، 1956، ج2، ص397
- 6 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص497
- 7 - خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان، تلمسان، مطبعة تلمسان، ط2005، 1، ص88
- 8 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص498

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الاندلس

وقد أدخل هذا المذهب إلى المغرب الإسلامي فقهاء أجلاء كأسد بن الفرات¹ وسحنون صاحب المدونة،² أما كتاب الموطأ³ والذي مكث الإمام مالك في تأليفه حوالي 40 سنة، وتحرى فيه القوي من حديث أهل الحجاز، ويشتمل على أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال أصحابه، وفتاوى التابعين⁴ فقد لقي اهتماما واعتناء كبيرين من قبل علماء الإسلام بصفة عامة، وعلماء المغرب الإسلامي بصفة خاصة، وقد قيل فيه (الموطأ) أنه هو الأصل واللباب وصحيح البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي، ولم يعتني بكتاب من كتب الحديث كما اعتني بالموطأ،⁵ إذ قاموا بشرحه والحرص على تدريسه، فضلا عن كتب المالكية الأخرى كالمدونة والمختلطة لسحنون، وكتاب التهذيب للبرادعي اختصار على المدونة وغيرها من الكتب الأخرى.⁶

ورغم محاولة الفاطميين نشر مذهبهم الشيعي بالقوة على حساب المذهب المالكي، إلا أن غالبية الشعب بقوا متمسكين بمذهبهم المالكي السني،⁷ والذي عرف انتشارا واسعا في العهد المرابطي، نظرا لاهتمام المرابطين بالعلوم الدينية، وبخاصة الفقه منها، وذلك لحاجة الناس إلى معرفة مختلف المسائل الدينية، أما الموحدين فقد خالفوا المرابطين، واتهموا فقهاءهم المالكية بالانقطاع الدراسة كتب الفروع، وإهمال النظر في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لاستخراج الأحكام الشرعية⁸ وحاولوا نشر المذهب الظاهري على حساب المذهب المالكي، فقاموا بجمع

1 - أبو العرب التميمي، طبقات علماء إفريقية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (د ت) ص ص 81-83، محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص 62.

2 - محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر نفسه ص ص 69-70.

3 - قيل سمي بالموطأ لأن الإمام مالك عرضه على بضعة عشر تابعيا، و كلهم واطنوه على صحته، أنظر محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر نفسه، ص 59.

4 - عثمان عبود، المهذب في مصطلح الحديث، الجزائر، القسم الثاني، مطبعة وزارة الشؤون الدينية، 1992، ص 48.

5 - محمد بن محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص 53.

6 - الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص ص 26-27.

7 - موسى لقبال، "الحلف بين أهل السنة والنجارية في القرن 4هـ/10م وأثره في تطور أوضاع مدن إفريقية والزاب والحضنة والأوراس"، مجلة الأصالة، العدد 60-61، السنة السابعة، 1978، ص ص 55-65.

8 - عبد الحميد حاجيات، "ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين"، المصدر السابق، ص 103.

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الاندلس

الكثير من كتب الفقه المالكي وإحراقها بعد تجريدتها من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة¹ ولكن محاولاتهم باءت بالفشل إذ بقي المذهب المالكي هو المذهب السائد في بلاد المغرب الإسلامي، ولقي قبولا وإقبالا من قبل الفقهاء وعامة الناس، لاعتماده على نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، دون التأويل والرأي، وقد أقره سلاطين بني زيان كمذهب رسمي للدولة ولم يتخذوا غيره وعملوا على تشجيعه ونصرته وبتجلى ذلك من خلال بناء المدارس وجلب أكابر فقهاء المالكية للتدريس بها ، كما فعل أبو حمو موسى الأول (707-718 هـ/1308-1318م) وأبو تافين الأول (718-737 هـ/1318-1337م) وأبو حمو موسى الثاني (760-791 هـ/1358-138م).²

وقد أقبل الطلبة على تلك المدارس لدراسة الفقه المالكي وكتبه المشهورة لاسيما كتاب الموطأ، وكتاب ابن الحاجب الذي لخص فيه طرق أهل المذهب ونظرا لأهميته كان العلماء يرغبون في قراءته كالعالم ناصر الدين المشدالي الذي كان يحث الطلبة على دراسته، وهو من أدخله إلى بجاية ثم تلمسان.³

ولم يكتف الزيانيون بتدريس المذهب المالكي فقط، وإنما عملوا به أيضا في القضاء،⁴ والفتوى، فكان يشترط في القاضي فضلا عن كونه عالما بأمر الدين وفقهيا، أن يكون على المذهب المالكي، وإن لم يكن كذلك فهو ملزم بالحكم به،⁵ أما في الفتوى فكان يعتمد على أهم كتب الفقه المالكي، وعلى رأسها كتاب الموطأ والمدونة وغيرها.⁶

1 - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، بيروت، شرح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط2006، 1، ص ص 202-204.

2 - التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقبان، تح: محمود بوعياذ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 139. ص 179-180.

3 - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 499.

4 أبو الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تح: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط5، 1983، ص 5.

5 - بوزيان الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993، ص 241.

6 - الونشريسي، المعيا المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه حاجي وآخرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981، ج11، ج12، ص ص 109-110.

وأما في الأندلس فالأمر لا يختلف كثيراً عما هو عليه في المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي، وكان الأندلسيون في أول الفتح الإسلامي على مذهب الإمام الأوزاعي،¹ إمام أهل الشام الذين كان لهم اليد الطولى في فتح الأندلس، وكانت الدولة تعول عليهم أكثر من غيرهم بالأندلس،² وبقي الأندلسيون على ذلك المذهب إلى أن حملهم السلطان الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل على تركه والأخذ بالمذهب المالكي، وقد اختلف في سبب ذلك، فهناك من قال بأن جماعة من علماء الأندلس رحلوا إلى المدينة المنورة، ودرسوا عند إمامها مالك، ولما رجعوا وصفوا فضله وسعة علمه وجلالة قدره³ لعامة الناس، فتنبوا مذهبه، ومن هؤلاء العلماء أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمان القرطبي المعروف بشبظون (ت 193هـ/909م) الذي سمع من الإمام مالك، وهو أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس، وأبو محمد الغازي بن قيس الأموي القرطبي (ت 199هـ/915م)، وأبو عبد الله بن بشير بن شراحيل (ت 198هـ/914م) ويحيى بن يحيى الليثي (ت 224هـ/839م) رئيس علماء الأندلس كما كان يسمى والذي كان الإمام مالك معجبا به، ويثني عليه كثيراً، وكان يسميه بعائل أهل الأندلس.⁴

وكان له الفضل الكبير في نشر المذهب بالأندلس لما عاد من المدينة، إذ تفقه على يده خلق كثير، وله رواية للموطأ تعد من أشهر وأحسن الروايات،⁵ وهناك من قال أنه من بين أسباب تبني هشام بن عبد الرحمان الداخل للمذهب المالكي أن الإمام سأل بعض الأندلسيين عن سيرة سلطان الأندلس فقالوا له: "يأكل الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله" فقال الإمام مالك: "ليت عندنا في حرم الله مثله"، وكان ذلك من أسباب محنته، إذ كان (الإمام مالك) ناقما على العباسيين الذين اضطهدوا العلويين وضيقوا عليهم، ولما سمع السلطان الأموي بالأندلس هشام بن عبد الرحمان ذلك، وكان قد سمع بعلم وفضل الإمام مالك، حمل الناس على إتباع مذهبه

1 - ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (دت) ج 2، ص 242

2 - شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، بيروت، المجلد الأول، دار مكتبة الحياة، (د.ت)، ص 255.

3 - المقري، نفع الطيب، المصدر السابق، ج 4، ص ص 60-61

4 - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 1، ص 2، ص 216.

5 - ابن خلكان، المصدر السابق، ص ص 216-217.

الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية و العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس

وترك مذهب الأوزاعي،¹ ومنذ ذلك الحين أصبح المذهب السائد في الأندلس والمعمول به في الفتوى والقضاء² حتى قيل أن الأهواء و النحل معدومة بالأندلس.³

ولكن هذا لا ينفي وجود مذاهب أخرى غير المذهب المالكي، إذ كان الكثير من العلماء على المذهب الظاهري،⁴ والحنفي والشافعي...، ففي عهد بني نصر كان أبو حيان الغرناطي على مذهب ابن حزم الظاهري،⁵ وأحمد بن صابر القيسي وأبو جعفر بن بصله (ت 734هـ/1334م) على المذهب الحنبلي وفتح بن موسى بن حماد على المذهب الشافعي،⁶ كما كان قلة على المذهب الشيعي كالعالم جمال الدين أبو بكر بن مسدى الغرناطي المتوفى سنة 662هـ/1264م الذي كان من أكابر العلماء ولديه مؤلفات عديدة في القراءات والحديث وغير ذلك، لكنه كان ممقوتا بسبب آرائه وأقواله في الصحابة وعائشة أم المؤمنين⁷ رضي الله عنها.

وعموما فقد ظل المذهب المالكي هو السائد والمعمول به في الأندلس والمغرب الأوسط، مما انعكس إيجابا على العلاقات الثقافية بين القطرين، إذ شجع ذلك على حركة العلماء بين المغرب الأوسط و الأندلس.

1 - المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج 4، ص 61.

2 - الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص ص 66-67.

3 - ابن الخطيب، اللحة البدرية في الدولة النصرية، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1980، ص 38.

4 - أنظر أحمد شيشون، منزلة العلم والتعليم بالأندلس من خلال رسالة مراتب العلوم لابن حزم"، ندوة الأندلس، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز، ط1996، ص 5.

5 - الفتح بن خاقان، تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس المعروف بمطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: مديحة الشراوي، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ط2001، ص ص 138-139.

6 - الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1997، ص 343

7 - الذهبي، سير أعلام النبلاء وهامشه أحكام الرجال في ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تقديم حسين العفاني تح: خزي سعيد، القاهرة، ج16، ج17، المكتبة التوفيقية، (د.ت)، ج17، ص53.

الفصل الثالث: العلاقات السياسية و العلاقات الاجتماعية و الهجرة بين المغرب الأوسط و الاندلس

اولا : العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط و الاندلس

ثانيا : العلاقات الاجتماعية بين المغرب الأوسط و الاندلس

ثالثا : الهجرة الأندلسية اتجاه المغرب الأوسط

اولا : العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط و الأندلس

وفي إطار العلاقات السياسية التي جمعت بين الطرفين، فإن انعدام الوثائق الرسمية كالمراسلات؛ قد حال دون تشكيل صورة حقيقية، يمكن من خلالها تمييز وتلمس الطابع الذي ميزها أو تتبع مسارها التاريخي خلال هذه الفترة، ولكن استنادا إلى بعض الإشارات الواردة منها الرواية التي ذكرها ابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام، ومفادها أن المنصور بن الناصر بن علناس "481هـ-498هـ/1098م-1105م"¹؛ قد استقبل في بلاده الوثائق عز الدولة بن المعتصم بن صمادح أحد ملوك الطوائف الفارين من الأندلس وأقطعه مدينة دلس وضواحيها، وأسكنه بما إلى أن وافته المنية سنة 498هـ/1098م،² كما أوى إلى بلاط الدولة الحمادية صاحب دانية علي بن مجاهد العامري، الذي تولى الحكم بعد والده مجاهد العامري سنة 436هـ/1044م، ولكن بعد أن سقطت مملكته سنة 468هـ/1076م، نقل على إثرها إلى سرقسطة، ثم فر منها إلى بجاية، ونزل على الناصر الحمادي، فأكرمه وقد اشتغل بها معلما لصبيانهم حتى مات هناك.³

ويمكن أن نستنتج من ذلك وجود علاقات سياسية ربطت بين حكام المغرب الأوسط وبعض حكام الأندلس خلال هذه الفترة، وبأنها كانت حسنة وودية، وإلا كيف يفسر مثل هذا الموقف الصادر عن الحاكم الحمادي اتجاه الحاكم الأندلسي المخلوع، وإن كانت المصادر المتوفرة لم تسعفنا في التعرف أكثر عليها؛ وانتقال هذا الأخير للإقامة بالمغرب الأوسط يوحي بأن العلاقات السياسية قد فتحت المجال أمام انتقال التأثيرات الحضارية المختلفة؛ إذ من المؤكد أن استقراره بمنطقة دلس قد صاحبه دخول العديد من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية التي كانت سائدة بالأندلس آنذاك، ونفس الأمر يقال على ابن مجاهد العامري السابق الذكر.

وفي المقابل فإن الانقسام السياسي الذي شهدته الأندلس خلال القرن 11هـ/11م؛ على إثر اخبار الخلافة الأموية،⁴ قد أعطى الفرصة للبربر المقيمين هناك لأن يشكلوا إمارات سياسية

¹ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص 97.

² ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية)، ص 191-192.

³ - ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري، تاريخ الأندلس، (قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء)، تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، د.ط، 1971، ص 102.

⁴ - عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ط، 1990، ج3، ص 122-137.

مستقلة خاصة بهم، كإمارة بني برزال 404هـ-459هـ/1013م - 1067م والتي كانت يتولاها آنذاك محمد بن عبد الله البرزالي بمدينة قرمونة، وهم في أصولهم من بلاد الزاب بالمسيلة.¹ وإمارة بني زيري بغرناطة 403هـ - 483هـ/1012م - 1090م، وقد اشتهر من ملوكهم زاوي بن زيري 403هـ - 483هـ/1012م - 1090م، وتعاقب على حكمها عدد من أبنائه كان آخرهم حفيده عبد الله (467هـ - 483هـ/1074م - 1090م)،² ونجاح مثل هذه الإمارات في أن تتولى السلطة، أعطى الفرصة البربر المغرب الأوسط لأن ينشروا أصول حضارتهم وثقافتهم وطريقة حياتهم الاجتماعية المختلفة من مأكّل وملبس واحتفالات وغير ذلك، وأن يتأثروا بما هو موجود أمامهم هناك، إذ من المنطقي أن يصاحب ذلك الاستقرار تواصل وتبادل، ومع هذا تبقى فترة القرن 11هـ/11م، غير واضحة المعالم خصوصا في جانب العلاقات السياسية بين الطرفين بلاد المغرب الأوسط والاندلس ولا تبدأ تتوضح إلا في العهدين المرابطي والموحدي.

- الأوضاع السياسية على عهدي المرابطين والموحدين (ق 06 هـ / 12م) وانعكاساتها على علاقات المغرب الأوسط بالاندلس:

* في العهد المرابطي:

لقد بدأت العلاقات السياسية تتوثق بين المغرب والاندلس، بدءا من العهد المرابطي، وتحديدًا حينما حمل المرابطون مسؤولية الكفاح المسلح ضد النصارى في الاندلس، بعد أن بسطوا سلطتهم على جزء كبير من المغرب، حيث تمكنوا من السيطرة على مدينة تلمسان سنة 472هـ/1079م، ثم تخطوا منها إلى وهران سنة 473هـ/1080م، وتابعوا زحفهم ليشمل مدنا كثيرة بالمغرب الأوسط، لينطلقوا بعدها نحو الاندلس بغرض الوقوف في وجه زحف النصارى والقضاء على الانقسامات الخطيرة وإتمام الوحدة،³ خاصة وأن الجبهة النصرانية بدأت توجه الضربات

1 - المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، الجمهورية العربية المتحدة، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ط، د.ت، ص 50.

2 - مريم قاسم طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (403هـ-483هـ/1012م-1090م)، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994، ص 1، 75-104 - والحديث عن بي برزال وبني زيري ودورهم، ودخولهم الاندلس، سوف يرد ضمن الفصل التالي من هذا البحث.

3 - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1982، ص 604.

للمسلمين بالأندلس في دور جديد عرف: بعمليات الاسترداد،¹ مما أدى إلى سقوط عدد من مدن وقواعد الأندلس بيدهم،² في الوقت الذي عجز فيه هؤلاء الأمراء عن صد ذلك العدوان نتيجة ضعف قواهم، وأمام هذا الوضع شعر ملوك الطوائف بخطورة الموقف خاصة منهم المعتمد بن عباد، فقرررو اللجوء للمرابطين، والاستعانة بهم، وذلك سنة 467 هـ/1074 م، وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين،³ بعد وصول الأخبار الأندلس بتنامي قوة سياسية ودينية بالمغرب منبعثة من أقاصي الصحراء، يعرف أصحابها بالمرابطين لتبنيهم مبدأ الجهاد والمرابطة في سبيل الله،⁴ فكان أول اجتياز لهؤلاء المرابطين نحو الجزيرة الخضراء عام 479 هـ/1086 م، حيث تلقاهم المعتمد،⁵ واجتمعت جيوشه معهم في موقعة الزلاقة الشهيرة في نفس السنة وتقابلت مع جيوش النصارى غرب الأندلس من إقليم باتليوس وأحرز المسلمون فيها النصر.⁶

وأما عن انعكاساتها على جانب العلاقات، فإن هذه المعركة كانت فرصة أتاحت الاتصال بين المغرب عموماً بما فيه المغرب الأوسط مع الأندلس، حيث تدفقت قبائل المغرب على إثرها نحو الأندلس للجهاد،⁷ بل أن عامل الجهاد ضد النصارى قد أعطاهم الفرصة للجواز الثاني والثالث نحو الأندلس 483 هـ/1090 م،⁸ كما فتح ذلك المجال أمام المرابطين للاستيلاء على الأندلس وضمها سياسياً لبلاد المغرب.⁹

1 - ابن بسام (أبو الحسن علي الشنتريني)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ط1، 1997، مجلد 4، قسم1، ص 132.

2 - ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مجلد 4، قسم1، ص126

3 - ابن حزم أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي، الرد على ابن النغزلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق: إحسان عباس، القاهرة، دار العربية للنشر، د.ط، د.ت، ص 176-196

4 - محمد ولد داده، مفهوم الملك في المغرب من الفتح حتى انتصاف القرن السابع الهجري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ط، 1977، ص 114.

5 - يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 1958، 3، ج1، ص74.

6 - ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط 1، 1972، ج7، ص116

7 - سوف نتحدث عن القبائل التي دخلت الأندلس برسم الجهاد على العهد المرابطي بتفصيل أكثر في الفصل اللاحق من هذا البحث.

8 - يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس، ج1، ص90.

9 - عن الأماكن والمدن التي استولى عليها المرابطون بالأندلس، عبد الله بن بلكين، كتاب التتبيان، ص 117-122.

وكان هذا أيضا سببا في زيادة تدفق البربر عليها، ويمكن أن نقف على شاهد عن ذلك من خلال تعليق أحد الباحثين سبب إقبال البربر على مدينة غرناطة بعد أن استولى عليها المرابطون سنة 483هـ/1090م، بكونها أقرب إلى بر العدو، وأوفق لهم من ناحية ولأن معظم أهلها من بربر إفريقية، وقد ظلت محافظة على أهميتها تلك طيلة عهد المرابطين.¹

ومن انعكاسات الأوضاع السياسية خلال هاته الفترة أيضا على مسار العلاقات بين البلدين هو نظرة الأندلسيين للمرابطين خاصة، والبربر الوافدين معهم عامة، والتي كانت نظرة احترام وتبجيل، إذ اعتبروهم مخلصيهم من ظلم ملوك الطوائف وكثرة ضرائبهم، وقسوة عمالهم، زيادة على هزمهم للنصارى في الزلاقة،² وهذا يوحي بأن أغلب الأندلسيين كانوا راضين عن هذا التوحد السياسي الذي جمعهم بالمغرب في ظل حكم المرابطين؛³ حتى أنهم أظهروا إعظاما ليوسف بن تاشفين، ونشأ الود في صدورهم، بل أن قلوب أهل الأندلس قد أشربت حب يوسف وأصحابه على حد تعبير صاحب المعجب.⁴

وبهذا فإن التوحد السياسي ستنعكس آثاره على توثيق العلاقات والصلات بين المغرب الأوسط والأندلس على عهد المرابطين، وسيفتح ذلك المجال الانتقال مختلف أشكال التأثير والتأثر، مما يساعد على خلق جانب من الاحتكاك بين المجتمعين المغربي والأندلسي، سواء من حيث الحجرات أو الانصهار، وستستمر حركة التأثير على شتى المستويات طيلة فترة حكم المرابطين للمغرب والأندلس أي معا، وذلك ما سنتعرف ونقف عليه بتفصيل أكثر فيما سيأتي لاحقا من هذا البحث.

* في العهد الموحيدي:

بعد أن أمضى المرابطون فترة حكمهم بالمغرب والأندلس في جهاد ضد النصارى بدأ الضعف يدب إليهم واشتد ضغط النصارى على الأندلس منتهزين فرصة انشغال الدولة

¹ - حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين، القاهرة، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، العدد 1، مجلد 2، 1949، ص 97.

² - محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن 05 هـ / 11م، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، تونس، الدار التونسية للنشر، ط1984، ص 248.

³ - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 160-163.

⁴ - المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 98.

بالاضطرابات الداخلية،¹ وقد وجد الموحدون فرصة سانحة في ذلك للقيام بهجمات متتالية على ممتلكات المرابطين، فكثرت الهزائم وتوالت على جيوشهم،² وفقدوا ثقة الناس فيهم، خاصة وأن الحركة مردود الموحدية قد ظهرت في تلك الفترة على قدر كبير من التنظيم، وحملت لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك ما قام به ابن تومرت،³ حيث دخل هذا الأخير في صراع مع الدولة المرابطية بشن حملات عسكرية ضدها إلى أن توفي في موقعة البحيرة،⁴ ليخلفه في حمل تلك المسؤولية عبد المؤمن بن علي 527هـ-539هـ/1132م-1163م، الذي واصل تضيق الخناق على الدولة المرابطية إلى أن سقطت وزال وجودها عن كامل بلاد المغرب والأندلس، ليحمل بعدها مسؤولية الجهاد والتصدي للفرنج وقد ساعدته مسألة الجهاد تلك على أن يبسط سلطته ونفوذه على الأندلس، ويوطد أركان الحكم لخلفه من بعده، حيث ساروا على نفس نهجه،⁵ مما مكن الموحديين من السيطرة على الأندلس ودخلت تحت نفوذهم، كما تدعمت تلك السيطرة عندما تمكن الموحديين من الاستيلاء على بلاد المغرب، وكان فتح المغرب الأوسط من ضمن مشاريعهم لتوحيد كامل المغرب، إذ نجحوا في الاستيلاء على مدينة بجاية سنة 547هـ/1152م، ثم قسنطينة في نفس السنة وتلتها تلمسان سنة 548هـ/1153م، ثم عنابة ووهران بعدها،⁶ وقد استطاع الموحدون أن يحافظوا على نفوذهم بتلك المناطق وأخرى ببلاد المغرب الأوسط، إذ يكفي كدليل على ذلك تصديهم لتحريشات النصارى الإسبان على سواحلهم الذين استغلوا تفوقهم البحري لغزو مدنه، واقتحموا مرسى تنس في سفينتين إحداهما من طرطوشة Tartose، والثانية من برشلونة Barcelona، لكنهم اهزموا إثر التحالف البحري الذي تم بين أهل بجاية، وأهل بونة، وذلك ما بين سنتي 550هـ-558هـ/1155م-1162م.

¹ - البيدق (أبو بكر علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1986، 2، ص 35

² - ابن عذاري، البيان المغرب، (قسم الموحديين)، تحقيق إبراهيم الكتابي ومحمد بن ناويث، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د. ط، 1985، ص 20-21.

³ - رشيد بورويبة، ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د. ط، 1982، ص 41-49.

⁴ - للتفصيل أكثر حول موقعة البحيرة. البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، ص 100

⁵ - ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك الباجي)، تاريخ المن بالإمامة، تحقيق: عبد الهادي التازي، بيروت، دار المغرب الإسلامي، ط1987، 3، ص 147.

⁶ - البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، ص 52.

وكذا التوحد كانت أقاليم الأندلس والمغرب خاضعة للحكومة الموحدية وفق سياسة منتظمة ساهمت في ازدهار المغرب الأوسط و الأندلس ، وسهلت هاته الوحدة السياسية ربط العلاقات بين الطرفين، ودعمت الصلات التي نشأ عنها تأثير كل جانب في الآخر، ذلك أن دخول الموحدين للأندلس وسيطرتهم عليها، قد فسح المجال لأفواج من بربر المغرب أن تتدفق على المنطقة برسم الجهاد.

مما يؤكد أن الظروف السياسية في هذه المرحلة تعد عاملا مساعدا على الاتصال الحضاري وأن الأندلس التي كانت متفوقة على بلاد المغرب حضاريا قد صارت خاضعة لها عسكريا، وأن انتقال البربر إليها سيكون النتيجة الحتمية والطبيعية له هو حصول الاحتكاك وما يرافقه من تقارب وتأثير وتأثر.

وبذلك نستنتج أن هذه العوامل وغيرها، قد أعطت دفعا لتسهيل العلاقات والتواصل الحضاري بين المغرب الأوسط والأندلس، وأسهمت بشكل كبير في مد جسور التواصل انطلاقا من:

- * قرب المسافة، ووفرة الطرق والمسالك الموصلة بين البلدين.

- * ازدهار النشاط التجاري خاصة خلال القرنين 05-06 هـ / 11-12 م، وحركة تنقل التجار والسلع في الاتجاهين، وحاجة كل طرف لتزويد الآخر بالسلع والتجهيزات الناقصة عند أهله.

- * فترة الاضطرابات السياسية كانقسام الأندلس خلال القرن 05 هـ / 11 م أعطى فرصة للبربر بتشكيل إمارات سياسية، وبالتالي زيادة عددهم بالأندلس، وتثبيت نفوذهم بالعديد من مناطقه.
- * التوحد السياسي على العهدين المرابطي والموحدي جعل من الأندلس والمغرب كتلة واحدة في وجه الزحف النصراني، كما فتح باب الجهاد الطريق أمام حصول تقارب واتصال بين المغاربة والأندلسيين، ترتب عنه فتح قنوات التواصل الحضاري والتبادل الفكري والثقافي.

ثانيا : العلاقات الاجتماعية بين المغرب الأوسط و الاندلس

أدى الفتح العربي الإسلامي للأندلس الى تغيير شامل في المجتمع الإسباني ، فلم يعد ينقسم المجتمع الى طبقة أرستقراطية (الطبقة العليا) متمثلة في القوط ورجال الكنيسة (وطبقة متوسطة) تعمل لحساب الطبقة الأرستقراطية وتتقاضى الأجر القليل ، و (طبقة دنيا) من الأقبان والأرقاء ويهود ناقلين عمى الحكومة لاضطهادهم ، وبعد الفتح ذابت الفوارق بين المجتمع الجديد بمرور الزمن وظهرت مكونات اجتماعية منها العرب الذين ساهموا في الفتح او

هاجروا الى إسبانيا واستقروا فيها بعد الفتح ، والمغاربة (البربر) هم أهل المغرب الذين ساهموا في الفتوحات ، وكذلك الاسبان سكان البلاد الأصليين الذين بدأوا بتعلم اللغة العربية وسموا بالمستعربين ويقوا على دينهم لأنه لا إكراه في الدين بسبب دفع الجزية ، و(طبقة المولديين) التي ظهرت بزواج العرب بالإسبانيات¹.

1-التركيبية الاجتماعية لبلاد المغرب

يمكن تقسيم سكان المغرب إلى ما يلي:

الروم وهم البيزنطيون.

الأفارقة وهم بقايا شعب قرطاجنة وأخلاق من المستعمرين اللاتينيين والوطنيين الذين تأثروا بالحضارة الرومانية والبيزنطية، وكانوا يدينون بالطاعة والولاء لسادتهم البيزنطيين. البربر وهم سواد سكان المغرب.²

أطلق الرومان اسم البربر على سكان بلاد المغرب لأنهم كانوا يعتبرونهم أعاجم على حضارتهم، وينقسم البربر إلى مجموعتين مختلفتين: البربر الحضر ويسكنون السهول الخصبة والمدن أو الهضاب المزروعة ويشغلون بالزراعة والصناعة، وللحضارة البيزنطية تأثير عليهم، والنوع الآخر من البربر وهم البربر الرحل، ويعيشون على الرعي ويميلون للإغارة على ما يجاورهم من عمران، وينقسم البربر عموماً إلى قسمين كبيرين برانس وبتر، وينقسم بربر البرانس إلى سبع قبائل كبرى، وهي: أوربه، وصنهاجة، وكتامة، ومصمودة، وأوريفة، وإزدواجة، وتعتبر قبائل صنهاجة أكبر قبائل البربر وقد غلب على صنهاجة التبدى وتفرقوا في بلاد المغرب.

ومن القبائل البرانسية الكبرى: كتامة، التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ المغرب، فعلى أكتافها قامت الدولة الفاطمية وتنتشر قبائل البرانس في كل بلاد المغرب، ولكن بعض قبائلهم توغل في قلب قارة إفريقيا حتى تصل إلى منحنى نهر النيجر ومصب السنغال ومعظمها ينزل في مواضع زراعية متحضرة.³

¹ طه عبد الواحد ذنون ، دراسات في التاريخ الاندلسي ، الموصل، طبع بمطابع جامعة الموصل ، مديرية دار الكتب ، 1987ص.

26 .

² - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، مرجع سابق، ص14

³ - ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، مصدر سابق، ص30.

أما قبائل البتر فينقسمون إلى أربع قبائل وهم: ضريسة ونفوسة، وأدتسة ولواتة، وتنزل هذه القبائل في السهول المرتفعة أو المنخفضة وعلى الهضاب التي تمتد من طرابلس إلى تازة، وينتشرون في إقليم النخيل الذي يمتد من غدامس إلى السوس الأقصى ويؤلفون أغلبي سكان القوى الصحراوية، وللبتر توسع في داخل إفريقيا وفي إقليم التل قرب طرابلس وعلى سفوح جبال أوراس.¹

والعداء بين البتر والبرانس قديم، ويتمثل بصفة خاصة بين زناتة أكبر قبائل البتر وصنهاجة أكبر قبائل البرانس، ويرجع سببه الرئيسي إلى العداء بين البدو والحضر، فالبتر يشنون الغارات بين البادية على المدن العامرة للبرانس، والبرانس يتأثرون بالحضارة البيزنطية، أما البتر فيتميزون بالبداءة.²

وكان البربر يدينون بأديان مختلفة، فالمسيحية انتشرت بين البربر المستقرين في المناطق والمدن الساحلية التي كانت خاضعة أو مجاورة للسيادة البيزنطية، كذلك انتشرت الديانة اليهودية من قديم في داخل البلاد، حيث انتشر اليهود كتجار ومرابين، شأنهم في كل زمان ومكان، أما الديانة الوثنية أو عبادة الكائنات والظواهر الطبيعية، فقد كانت منتشرة بين غالبية البربر ولا سيما في البوادي والجبال والصحراء، غير أن كل هذه الديانات³ في الواقع كانت منتشرة انتشارا سطحيا ضعيفا، بمعنى لم يجدوا صعوبة في اجتذاب المغاربة إلى الإسلام حتى صاروا من أشد الناس تعصبا له ودفاعا عنه.

2- التركيبة الاجتماعية للاندلس

من بين العناصر المكونة لسكان الأندلس المسلمين، يجب التمييز بين جماعة المسلمين الجدد أي الإسبانيين الذين اعتنقوا الإسلام بعد الفتح نتيجة لتحولهم عن دينهم القديم عن تفاوتهم في المبادرة إلى ذلك، وبين هذه العناصر الأخيرة التي توطنت في البلاد نتيجة لموجات المهاجرين المتتابعة وإن كانت قليلة العدد، يبدو أن عنصر البربر كان أهمها جميعا، والظاهر أن البربر لم يأت من جميع بلاد البربر، ولكنهم جاؤوا من أقاليم المغرب الدانية من الأندلس وهي جبل مراكش والريف، وأما البربر الذين جاؤوا من الجانب الآخر المضيق جبل طارق عندما كانت الظروف

1 - البكري أبي عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مصدر سابق، ص 48.

2 - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، مرجع سابق، ص 15.

3 - أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، مصدر سبق، ص 16-17.

السياسية والاقتصادية مواتية لا تضطربهم إلى العودة إلى بلادهم الأصلية على جناح السرعة، فقد دفعهم إلى الأراضي الجبلية المهاجرون الذين تألفت منهم الطبقة الأرستقراطية لكي ينعموا وحدهم ديون سواهم بحق التحكم في أخصب البقاع بالأراضي الأندلسية.¹

والعنصر العربي في الأندلس لم يكن قط إلا أقلية، أما الأغلبية فقد دخلت البلاد، أما في عهد الفتح أو في خلال السنوات التالية وازدادت قوة فيها بعد بعناصر طارئة من الجند الشامي وبالمهاجرين الذين أقبلوا زرافات من آسية في عهد استعادة المروانيين للخلافة في الأندلس، ولعل العرب كانوا أصلا لا يتجاوزون بضعة آلاف قبل زواجهم من النساء الوطنيات، وقد أنتج نظام الولاء عدد لا يستهان به من الناس الذين ادعوا خطأ أو صواب إنهم من أصل عربي، وهناك عنصر ثالث دخيل على المجتمع الأندلسي لا مفر من الإشارة إليه على الرغم من أنه لم يكن إلا نسبة ضئيلة إلى حد ما من السكان، وهذا العنصر يضم العبيد والصقالبة، فالعبيد الذين جلبهم النخاسون من السودان إلى إسبانيا لم يكونوا في النهاية حرسا من المرتزقة يتزايد عددهم بإطراد فحسب، ومن جهة أخرى فإن الصقالبة الذين كانوا من الأسرى في القارة الأوروبية من ألمانيا إلى بلاد الصقالبة.²

أ- المصاهرة والزواج بين المغاربة والأندلسيين:

بناء على ما تشير إليه الأبحاث، فإن عملية الانصهار الاجتماعي بين الأندلسيين والمغاربة قد بدأت منذ وقت مبكر جدا يعود إلى مرحلة الفتح، بحيث ترتب عن استقرار الوافدين من عرب وبربر تزواج وانصهار مع السكان الأصليين الذين كانوا يعيشون في الأندلس قبل الفتح الإسلامي،³ ولقد تأثرت تلك العناصر البشرية المتنوعة في خصائصها العرقية والثقافية بالحضارة العربية الإسلامية حتى أصبح التاريخ ينعتهم باسم المستعربين "Los Mozarabes"؛⁴ هؤلاء الذين يشكلون أكثرية سكان الأندلس، فأنصهروا طوعا في كيان الوافدين من عرب وأمازيغ، لاسيما وأن الكثير منهم جاءوا إلى الأندلس دون نساء، فاضطروا إلى الزواج من أهل البلد وامتزجت بذلك

1 - جمس. كولان، الأندلس، تر: إبراهيم فورشيد وآخرون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1980، ص 2

2 - جمس كولان، المصدر السابق، ص ص 90-91.

3 - المقري، تفح الطيب، ج 1، ص 130.

4 - محمد رزوق، الأندلسيون وهجرتهم إلى بلاد المغرب خلال القرنين 16-17م، الدار البيضاء، دار إفريقيا الشرق، ط1998، ص 3،

دماؤهم مع دماء أهل الأندلس،¹ وكانت خاتمة هذا اللقاء ميلاد نشأ جديد يعرف بالمولدين الذين أصبحوا يشكلون الفئة الغالبة في المجتمع الأندلسي.

وقد اكتسب هؤلاء الكثير من ملامح وعناصر الثقافة الإسبانية من أمهام الإسبانيات فأصبح يدعوهم العرب باسم عجم الأندلس،² وكان أول من اتبع هذا الطريق في مصاهرة أهل البلاد هو والي الأندلس الأول عبد العزيز بن موسى بن نصير، ثم أعقبه القادة العرب والبربر إذ حذو حذوه وارتبطوا بعلاقات مصاهرة مع أهل البلاد، واستمر هذا الوضع حتى على عهد الخلفاء الأمويين بالأندلس، إذ أن كثيرا منهم كان يجري في عروقه الدم الأيبيري من جهة الأمهات والجدات.³

وإذا كان ذلك ما فعله الحكام، فما بالك بأصحاب البيونات الأندلسية الأخرى من عرب وبربر والطبقة الوسطى منها، فإنها في اعتقادي قد جرت على هذا النهج، وإن دل على شيء فإنما يدل على العلاقات الاجتماعية الحسنة التي سادت بين البربر وأهل البلاد، وقد استمر هذا التواصل والامتزاج الاجتماعي بينهما خلال القرون اللاحقة بما في ذلك القرنين 05-06هـ/11-12م، سواء عند الخاصة أو العامة، وقد أكد هذا الأمر أحد الباحثين حين أشار إلى مسألة الزواج المختلط في الأندلس خلال القرن 05هـ/11م، وذكر أن المجموعات الإثنية المختلفة قد تعايشت فيما بينها مع محافظتها على شخصيتها، وفي عدد من الحالات كان يوجد تطابق ديني وثقافي وتربوي مع اختلاف في اللغة، وقدم أمثلة عن ذلك منها أن أغلبية العامة في غرناطة كانت من أصل بربري، وما يدعم هذا الرأي أكثر هو تصفح كتب تراجم العلماء كنموذج لنعثر فيها على الكثير من الشخصيات التي تنسب إلى الأندلس علميا واجتماعيا، لكنها في أصولها من بربر المغرب الأوسط كأبو عبد الله الندرومي، وهو كومي ينسب إلى ندرومة ولد بقرطبة نحو سنة

1 - حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص 396..

2 - إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، بيروت، دار الثقافة، د. ط، 1960، ص 11.

3 - ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، تحقيق محمد يوسف الشيخ محمد، وغريد يوسف الشيخ، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ط، 2005، ص 43.

580هـ/1184م ونشأ بها،¹ والحسن بن حجاج الهواري ت 598هـ/1201م المكنى بأبي علي، أصله من ناحية بجاية، وأهل بيته ينتمون في تجيب.²

ولم يقف الأمر عند العامة بل تجاوزه حتى إلى الحكام إذ كانت لهم خلال هاته الفترة ميولات للزواج بالنساء الأندلسيات وإن كان من الإماء، باتخاذهن أم ولد وأنجبوا منهن، كما حدث مع يوسف بن تاشفين الذي أنجب من فاض الحسن الجارية الرومية الأندلسية الأمير المرابطي علي بن يوسف، وقمر أم الخليفة الموحي يوسف بن محمد الناصر،³ وطيف أم ولد الأميرين الموحيين عبد الله وعبد العزيز أخوا الخليفة الرشيد،⁴ خاصة وأن أميرين من الموحيين قد تزوجا من ابنتي ابن مردنيش،⁵ وهما أبو يعقوب وأبو يوسف يعقوب بن يوسف.⁶

والظاهر أن اختيار البربر للزواج بالنساء الأندلسيات كان مرده للصفات اللاتي كن يتحلين بها، ولعل أحسن من عبر عن وصفهن ابن الخطيب حين قال في نساء غرناطة: "وحریمهم حريم جميل موصوف بالسحر وتتعلم الجسوم واسترسال الشعور، ونقاء الثغور وطيب البشر وخفة الحركات ونبل الكلام، وحسن المجاورة... "، وفي المقابل أيضا تزوج الأندلسيون من النساء المغربيات،⁷ إذ من المؤكد أن الهجرة من الأندلس إلى المغرب الأوسط قد اكتسبت هي الأخرى بعدا اجتماعيا بما نتج عنها من تزواج الأسر واختلاطها، وتكوين أسر امتزج فيها دم سلالات البربر والأندلسيين خاصة وأن الكثير منهم قد هاجروا إلى المغرب الأوسط من دون أن تكون لهم زوجات،⁸ وهناك نص من القرن 05 هـ / 11م يكشف عن حقيقة ذلك فقد شاع لدى الأندلسيين

1 - ابن أبي أصيبعة أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، ط1981، ج3، ص 131-132.

2 - ابن القاضي أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، د.ط، 1973، ج1، ص180.

3 - المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 177.

4 - ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيين، ص 299.

5 - المقري، نفع الطيب، ج5، ص 104.

6 - المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 177.

7 - ومثال ذلك راج جارية بربرية من سبي المغرب هي أم الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل، المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 29.

8 - محمد التميمي الفاسي أبو عبد الله بن عبد الكريم، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، ط1، 2002، ج1، ص180.

أن البربريات من أصلح النساء للتوليد واللذة وأحسنهم للولد كما قد وردت بعض الإشارات التي تنبه إلى ممارسة الإماء بصفة عامة المهمة الرضاع، وهي مهمة خطيرة تساهم في اختلاط النسب والمصاهرة.¹

لكن إذا نظرنا إلى واقع الحياة عند المغاربة والأندلسيين خاصة بمنظور الأعراف سنجد بأن الطابع الغالب في الزواج هو الذي يتم في إطار القرابة العائلية أو الانتماء القبلي، بحيث يتوجه أكثرية العامة والخاصة إلى الزواج من نساء قريبات لهن أو من نفس قبيلتهم، ويذهب أحد الباحثين إلى تعليل ذلك بالحفاظ على الميراث العائلي،² وهناك من النصوص ما يدعم هذا الرأي إذ تشير المصادر إلى أن الأمير عبد الله بن حماد الصنهاجي ابن صاحب القلعة قد تزوج بأخت العلو أخت المعز بن باديس.³

كما أشار الأمير عبد الله بن بلكين في مذكراته إلى أنه كان عازماً قبل نفيه إلى المغرب على تزويج بنتيه من ابني عمهما،⁴ وتزوجت أم يوسف بن تاشفين من ابن عمها، وكذلك أخت علي بن يوسف⁵ وزوج الخليفة أبو محمد عبد المؤمن ابنه أبي يعقوب يوسف بامرأة صنهاجية من أهل قلعة بني حماد اسمها "مريم" بعد أن أعتقها، وكانت قد سببت هي وأمها فيمن سبوا من أهل القلعة،⁶ يضاف إلى هذا أن العديد من نوازل الفترة تضم قضايا طرحت في هذا المجال تؤكد حقيقة الوضع فهناك نازلة سنل فيها أحد فقهاء الأندلس ممن عاشوا خلال القرن 06 هـ/12م،

1 - السقطي أبو عبد الله، آداب الحسبة، نشر جورج كولان وإيفي بروفنسال، باريس، مكتبة ارنست لورو ، د. ط، 1931 ، ص 50-49

2 - إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، " المجتمع الذهنيات الأولياء"، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1993 ، ص 25.

3 - ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص 272-273.

4 - عبد الإله بن مليح، ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، الرباط، طبع مطبعة النجاح الجديدة، منشورات الزمن، د. ط، د. ت، ص 140-139.

5 - ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص413.

6 - عبد الملك الأنصاري المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، د ط: 1965، سفر 8، القسم 1، ص 06.

عن صديق امرأة مصمودية تزوجها مصمودي ببلاد الأندلس،¹ وأخرى عن زواج نساء من بربر المغرب برجال من بربر الأندلس.

كل هذا يعكس ويؤكد شيوع فكرة الزواج داخل الإطار العائلي أو القبلي، وإن كان منتشرا أكثر لدى الطبقة الخاصة كالحكام،² وهو أمر عادي ووارد، لكننا إذا حاولنا البحث والتقصي أكثر في الأسباب التي جعلت الزواج بين الأندلسيين والمغاربة يتم في إطار محتشم نوعا ما إن صح هذا التعبير فإن بعض الأدبيات المغربية والأندلسية تعطي صورة مقربة عن ذلك، بحيث تذهب إلى إظهار أن هناك نوعا من التباعد الاجتماعي بين البربر وأهل الأندلس، بل بينهم وبين أهل العداوة، وتتعت هذه العلاقة بنعوت الكراهية والنفرة والعداوة والبغضاء.

وترجع وجودها إلى عصور قديمة،³ من ذلك ما نقله المقري عن بعض المؤرخين الأندلسيين قولهم: «لما كان البربر بالقرب منهم (يقصد من الأندلس)، وليس بينهم سوى تعديّة البحر، ويرد عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة في الأوضاع ازدادوا منهم نفورا، وأكثر تحذرهم من نسب أو محاورة، حتى ثبت ذلك في طبائعهم، وصار بعضه مركبا في غرائزهم، فلما علم البربر عداوة أهل الأندلس وبغضهم لهم أبغضوهم وحسدوهم، فلم تحد أندلسيا إلا مبغضا بربريا وبالعكس».⁴

بل حتى في أمثالهم ورد ذكر البربر والبربري، ويبدو أن استعمال الأندلسيين للكلمتين لم يخلو من معنى التحقير من ذلك قولهم: "البربري والفار لا تعلمهم باب دار"، "وأعطي للبربري شبر طلب ذراع أعطيه ذراع طلب مري فاش يتمتع"،⁵ وهي تعبير عن ضيق الأندلسيين بالبربر

1 - الوئشيسي أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، بإشراف الدكتور محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ط، 1981، ج3، ص148.

2 - إبراهيم القادري بونشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 25.

3 - المقري، نفع الطيب، ج3، ص540، ج4، ص177، 205، 206.

4 - المقري، نفع الطيب، ج1، ص 228.

5 - محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب، بحوث ونصوص، مطبعة المناهل، منشورات وزارة الثقافة، د.ط، 2006، ج1، ص245، 248.

ومطالبهم وأغلب الظن أنها قد قيلت في أولئك الذين يفدون للأندلس برسم الغزو والجهاد، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل امتد حتى إلى الشعر.¹

ويبدو أن أهل المغرب كانوا يشعرون بذلك أيضا، فقد أشار الأمير عبد الله الزيري في كتابه مرارا إلى بغض أهل الأندلس للبربر، وإذا تمعنا في هذا الوضع الذي تصوره تلك المصادر الأدبية والتاريخية، لوجدنا أن هناك من واقع المجتمع ما ينافيه والدليل أن العرب والبربر الفاتحين جمعتهم علاقات اجتماعية طيبة بأهل الأندلس، وصلت إلى حد المصاهرة والزواج؛ مما يعني أن تلك المواصفات التي قدمتها المصادر لا يمكن تعميمها على كامل أفراد المجتمع الأندلسي مع الوافدين عليهم من المغاربة، وبرأيي فإن الوضع الحقيقي الذي أثر على مسألة المصاهرة وتراجع الزواج بين الطرفين وأدى إلى ظهور بعض التباعد والنفور هو ما حصل خلال القرن 05 هـ/11م، وتحديدًا زمن الفتنة،² حين اشتد الصراع بين الطرفين وجرت تلك الفتنة ويلات عظيمة على البربر وأهل الأندلس على حد سواء.

فربت فيها المنازل وأرهقت الأرواح، وشردت الأسر وملت النساء، وصار كل فرد أندلسي يتربص بآخر بربري، ويكن له العداة الشديد، ولا يفوت الفرصة لإلحاق الأذى به لأنه يرى في البربري سبب الخراب الذي لحق بالأندلس، فأصبح سلوك العامة في الأندلس خلال هذه الفترة بيدوا كأنه محرك ومنعش بالعصبية،³ وقد صور ابن عذارى ذلك بقوله: «فالقريطيون إذا وجدوا بربريا منفردا أو في خلوة قتلوه غيلة»،⁴ والحذر ذاته ظهر من طرف البربر، حيث كانوا يخافون العامة في أسواق قرطبة حتى إذا صهل فرس على فرس قامت تفرقة لتعصب العامة عليهم وبغضهم فيهم، وهم مع ذلك صابرون ينهون سفهاءهم وعبيدهم أن يمد أحد منهم يده إلى أندلسي»،⁵ وحتى حين تمكن ابن عبد الجبار من دخول قرطبة خرج العامة إلى الزهراء مدينة البربر فنهبوا وقتلوا من وجدوه بها وكان نتيجة ذلك أن قتل كل متشبه بالبربر وكل عدوي، ومن لم يرى العدو إسرافا

1 - ابن خاقان أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله، فلائد العقيان، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، د. ط، 1990، ص 88.

2 - أنظر حول أحداث الفتنة البربرية، المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 40-52.

3 - ابن عذارى، البيان المغرب، ص 923.

4 - المصدر نفسه، ج 3، ص 93.

5 - المصدر نفسه، ج 3، ص 97.

وتحاملًا،¹ وفي الفتنة كان أكثر البربر يسكنون الرصافة فتهدت دورهم ودور كثير لبني البني زيري هناك،² ولم يسلم من هذه الفتنة حتى النساء وقد أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله: "ودفع البربر المقيمين أثناء الفتنة بقرطبة الثمن، فقتل منهم أعداد كثيرة، وكذلك النساء اللاتي باعهن في دار البنات"،³ مما يعني أن فترة القرن 05 هـ/11م، قد مثلت مرحلة توتر سياسي، واضطراب حقيقي في مسار العلاقات بين المغاربة والأندلسيين، وهو ما انعكست آثاره على الواقع الاجتماعي فظهر على إثر ذلك العداء والنفور بين الجانبين.

والواقع أننا إذا ما نظرنا إلى هذه المسألة بعين الإنصاف سنجد أن الشعور الإقليمي كان عند الأندلسيين أقوى منه لدى المغاربة، فهم كانوا يتجنون غالبًا على أهل العداوة»، ويتباهون عليهم بحضارتهم وعلمهم وأدبهم، وقد كشفوا عن عدم رغبتهم في المغاربة المقيمين بين ظهرانيهم حتى بعد توحيد البلدين في عهد المرابطين والموحدين، في حين أن المغرب كان أرحب صدرا لاستقبال الأندلسيين سماحة وحفاوة.

وفي هذا الصدد قدم أحد الباحثين نموذجًا هو المجتمع الحمادي فقد كان على حد تعبيره مجتمعًا مفتوحًا يهضم في جسمه نماذج مختلفة الجنس والفكر، وأن الطبقات الاجتماعية في ظل النظام الذي تمتعت به الدولة قد أخذت تمتزج مع تنوع أجناسها من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب، وأن الحماديين قد نجحوا في فتح نوافذ الاتصال دون أن يفقدوا أنفسهم، وأرسوا سياسة التسامح والحرية أساسًا يقوم عليه البناء الاجتماعي، ولا شك أنه بدون هذه السياسة ما كان يمكن أن تسير حياة مجتمع يضم بين جوانبه كل هذه العناصر بكل ما تضمه بين جوانبها من مطامح وتيارات».⁴

زيادة على ذلك فإن البربري في عمومه يمتاز من الناحية الخلقية بحبه للحرية والديمقراطية ويأبى على الدوام الخضوع،⁵ في حين يمتاز الأندلسي بصفات مغايرة من بينها التحفظ وعدم المخالطة لهذا أرجع أحد الباحثين تحفظ الأندلسيين وعدم مخالطتهم للبربر بزواج أو مصاهرة إلى

1 - ابن عذارى، البيان المغرب، ج3، ص 75.

2 - المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 32-51.

3 - ابن عذارى، البيان المغرب، ج3، ص 81.

4 - عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ص 239.

5 - إبراهيم أحمد العدوي، المجتمع المغربي، القاهرة، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط1970، ص 15.

عاداتهم وأعرافهم إذ أن من المعروف على الأندلسيين أهم يحافظون على الارتباطات العائلية فيما بينهم والاستقلال عن الآخرين وعدم الاختلاط بالغير حتى يحافظوا على طابعهم المعيشي،¹ وذلك ما جعلهم يحجمون عن الزواج خارج جماعتهم إذ أن المرأة الأندلسية نادرا ما تتزوج من غير أندلسي إلا إذا اضطرتهما الحاجة لذلك، وكانوا يرون أن الصلات بين الناس تقوم على سوء الظن والحيطه والحذر،² ولعل هذا من الأسباب التي جعلت المغاربة ينفرون من مصاهرتهم أيضا، يضاف إليها أسباب أخرى تطرق إليها أحد الباحثين حين تناول طبائع الأندلسيين التي جعلت أهل المغرب ينفرون منهم قائلا: "يبدأ استقرار الأندلسي عاديا لأنه يكون في فترة دراسية للبيئة التي يعيش فيها وبالتالي الطرق التي تمكنه من البروز على الساحة الاجتماعية وعندما ينتهي من هذه الدراسة، يبدأ في العمل انطلاقا من محيطه الذي يعيش فيه، ولكنه يجد مواجهة عنيفة يضطر معها إلى البحث عن طريق توصله إلى القصر، ويصل بالفعل بفعل ملكته العلمية والأدبية لكنه سرعان ما يجد الرغبة تعثره من جديد للإستحوذ على كل شيء مما يثير غضب مواطنيه أولا وأهل البلد ثانيا".³

وبذلك نستنتج بأن الزواج والمصاهرة كان أمرا واقعا بين الأندلسيين وأهل المغرب عموما، إلا أنه كانت تتحكم فيه بعض الظروف، زيادة على اختلاف الطبائع، ومع ذلك لم تقف كحاجز عرقل مسألة الاتصال والتبادل الفكري والثقافي والحضاري، بل ساعدت المصاهرة على تقريب مظاهر الحياة الاجتماعية وصهرها بين أهل البلدين.

إن تعرفنا السابق على الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط، وما قابلها من انتقال أهل المغرب الأوسط واستقرارهم بالاندلس، يدفعنا إلى التساؤل والاستفسار كيف كانت الوضعية الاجتماعية التي ميزت العناصر الأندلسية المستقرة ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 12 و 11م، والعكس بالنسبة لأهل المغرب الأوسط الذين استوطنوا الأندلس؟ إن معرفة ذلك تدفعنا إلى تتبع نمط الحياة لدى فئات مختلفة من المجتمع، ويبدووا هذا من الأمور الصعبة، خاصة وأن المصادر التاريخية لم تتم كثيرا بالجانب الاجتماعي، ولم تولي عناية بالشرائح الفاعلة اجتماعيا،

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1998، ج 3، ص 237.

2 - ناصر الدين سعيدوني، الجالية الأندلسية بالجزائر، مدريد، مقال مجلة أوراق، عدد 44، سنة 1981، ص 121.

3 - المقري، فحح الطيب، ج 3، ص 152.

ومع ذلك تشير مصادر أخرى ككتب الطبقات والتراجم والحسبة، إلى أن الوضع الاجتماعي تميز عموما بالطبقية، والتفاوت بين الأفراد سواء ببلاد المغرب أو الأندلس.¹

وكان التصنيف الاجتماعي يتم إما بناء على ما يملكه الأفراد من ثروات داخل المجتمع أو ما ينتحلونه في معاشهم من صنائع وتجارة أو ما كانوا يتمتعون به من جاه و شرف.² واستنادا إلى هاته الخصوصيات يمكن رصد الطبقات الاجتماعية على النحو التالي:

أولا: الخواص

تتكون هذه الطبقة في الأصل من الأمراء والحكام وعشيرتهم وقادة الجند ورجال الدولة، و فقهاء السلطة والأعيان والكتاب فضلا عن بعض البيوتات الوجيهة المرتبطة بجهاز السلطة.³ فبخصوص الأمراء فقد اهتم المؤرخون برصد أخبارهم وتتبع أحوالهم الاجتماعية، وما يلاحظ عليها هو تميزها بالترف والتفنن في المأكل والملبس، زيادة على الاهتمام بتشبيد القصور والمنيات من ذلك بنو زيري بغرناطة، فقد ذكر لسان الدين ابن الخطيب، يصف حالة باديس بن حبوس (428-465هـ / 1036-1072م) بالعبارات التالية: «كان يبسا طاغية جبارا شجاعا داهية حازما جادا شديد الأمر، شديد الرأي ... جماعة للمال، ضخمت به الدولة ونبهت الألقاب وأمنت لحمايته الرعايا، ضخمت تحت جناح سيفه العمران واتسع بطاعته المرهبة النظر، وانفسخ الملك ...». كما أن هناك إشارات في المصادر تبين أنه هو الذي مصر غرناطة واختط قصبته وشاد قصورها وبنى حصونها، وآثاره في مبانيها ومصانعها لا تزال باقية، وكذلك الشأن مع باقي أفراد عائلته، ومثل هذا الوضع كان مع بني برزال بقرمونة.

وفي المقابل أيضا حظي بعض ملوك الطوائف المهجرين إلى المغرب بحالة مشاجة كالوائق عز الدولة بن صمادح الذي نزل ببجاية، فأقطعه الملك الحمادي مدينة دلس وضواحيها، فأصبح ذا سيادة وحكم فيها.

ويمكن أن نقف على الجاه الذي تمتع به هؤلاء الحكام، خاصة في قصائد ومدائح الشعراء لهم الذين هبوا إلى بلاطاتهم طلبا للعطايا، من ذلك ما قاله أبو محمد عبد الله بن خليفة القرطي

1 - ابن الحاج أبو عبد الله محمد التجبتي، النوازل الكتاب الأحكام"، مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 55 ج، ص 90.
2 - إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة، أسس التفاوت الطبقي وخصوصية الطبقة في المجتمع المرابطي، ص 120-130.
3 - المرجع نفسه، ص 131.

(ت) 496 هـ / 1102م، في مدح بلكين بن حماد صاحب القلعة، وباديس بن حبوس صاحب غرناطة في عهد ملوك الطوائف.

كما مدح الشعراء الأندلسيون الحكام المرابطين والموحدين بالاندلس،¹ كأبي الحسن علي بن الفضل وهو من أعيان أريولة أنشد مأمون بني عبد المؤمن أول ما بويع في إشبيلية بالخلافة وصدرت عنه الكتب والكتائب إلى البلاد قصيدة مطلعها خدمتك السيوف والأفلام،² بل حتى أن تميزهم الاجتماعي ظهر في ميدان تنشئة وتعليم أبنائهم إذ جلبوا لهم المؤدبين لتدريسهم داخل القصور واختاروا لهم أحسنهم، فقد استأدب المنصور محمد بن أبي عامر لابنه عبد الرحمن، أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الباغائي المقرئ ت 401 هـ / 1010م،³ كما استأدب أبو محمد عبد المؤمن بن علي أحد الخلفاء الموحدين لبنيه أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله من أهل المرية 555هـ/1160م والذي سكن بجاية مدة.⁴

وحتى أقرباء الحكام وعشيرتهم حازوا المناصب العليا وحظوا بالأموال،⁵ ويلحق بالطبقة الخاصة أيضا قادة الجيش، إذ احتل هؤلاء مكانة سامية في الهرم الاجتماعي، ذلك لأن الحكام في مختلف مراحل حكمهم اهتموا بتنظيم الجيش لتحقيق مشاريعهم التوسعية، وظهر ذلك بشكل خاص في مرحلة التوحد السياسي بين المغرب والاندلس على العهدين المرابطي والموحدي، ذلك أن الجيش على عهدهم صار يضم عناصر مغربية وأخرى أندلسية،⁶ ويبدو أن الحكام أغدقوا عليهم العطايا ووسعوا لهم في الأرزاق، ونستشف ذلك من خلال ما أورده صاحب الحلل الموشية في معرض حديثه عن تاشفين بن علي، إذ ذكر أنه استكثر من الجند البربر بالاندلس، حيث قلدتهم الأسلحة وأوسع عليهم الأرزاق، وهذا يوحي بأنه كانت تخصص لهم رواتب شهرية مقابل

1 - الأعمى التيطلي أبو جعفر بن عبد الله بن أبي هريرة، ديوان الأعمى ومجموع موشحاته، تحقيق إحسان عباس، بيروت، المكتبة الأندلسية للنشر والتوزيع، دار الثقافة، د.ط، د.ت، ج16، ص 100، 113

2 - ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 286-287.

3 - ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم، نشر وتصحيح ومراجعة عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1994، ج2، ص1، ج1، ص87.

4 - ابن الأبار، التكملة، ج1، ص 65.

5 - إبراهيم القادري بونشيش، حلقات مفقودة، ص 136.

6 - المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 120، 190.

عملهم، زيادة على ما يمنح لهم من اقطاعات،¹ ما جعلهم يعيشون حياة رفاهية تميزهم عن عامة المجتمع.

يضاف إلى هذه الطبقة شريحة الكتاب وبعض العلماء وأصحاب البيوتات الوجيهة، فبالنسبة للكتاب فإن العديد من المصادر تؤكد على المكانة التي حظوا بها، خصوصا الكتاب الذين تم استقدامهم من الأندلس إلى بلاد المغرب الأوسط، لما كان يتمتع به هؤلاء من مهارات في هذا المجال إذ شملتهم رعاية الحكام وبلغوا منزلة عالية،² وقبل الاستطرد في ذكر أحوالهم الاجتماعية فمن الضروري أن نعرض بعض الأسماء التي اشتهرت في ذلك من كتاب الأندلس الذين كتبوا للأمرء والحكام ببلاد المغرب الأوسط نجد، أبو العباس أحمد بن أحمد البرشاني (ق06هـ/12م)، الذي كتب عن أحد ولاة المرابطين بتلمسان، كما كتب ليعقوب بن يوسف (580هـ/1184م)، ثم لابنه محمد الناصر، ويوسف المستنصر (595هـ - 610هـ / 1198م - 1213م)، من بني عبد المؤمن، وأبو بكر محمد بن أحمد من أعيان لقتت (كان حيا سنة 557هـ/1161م)، سكن تلمسان وكان مولعا بالكتابة فبرع فيها وكتب عن ولاتها، وعبد الملك بن عياش القرطبي ت 568هـ/1172م، الذي نزل هو الآخر تلمسان مدة وكتب عن الأمير أبي حفص عبد المؤمن (524هـ/1129م)، كما كتب لأبي محمد عبد المؤمن، وأبي يعقوب بن عبد المؤمن وهو وال بإشبيلية وصفه ابن عبد الملك فقال: « كان أديبا كاتبا بليغا شاعرا بارع الخط جميل الوراق شبة في صحبة الملوك بالكتابة عنهم، وارتسم في جملة خدامهم»³ وغيرهم كثيرون، بل وهناك من كتب قبل ذلك لوزراء بني زيري الصنهاجيين ببجاية كأحمد بن عبد الجليل ت 555هـ/1160م، من أهل المرية الذي كان عالما بالعربية، واللغات والآداب، حتى أنه وضع كتابا لمحمد بن علي بن حمدون وزير بن الناصر سماه: «نظم القرطيين وضم أشعار السقطيين، كامل الثمالي ونوادر القالي».⁴

أما عن حالتهم الاجتماعية فيبدو أن منصب الكتابة قد أتاح للعديد من الكتاب أن يعيشوا حياة البذخ والترف، ويحصلوا على الجاه والثراء، كعبد الملك بن عياش عاش خلال ق 06

1 - عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب، ص 144-146.

2 - ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 314

3 - عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 5، قسم 1، ص 27.

4 - ابن الأبار، التكملة، ج1، ص 65.

هـ/12م)، ذكره صاحب الذيل والتكملة فقال: «نال دنيا عريضة وكانت له منزلة جليلة»¹ كما كان أحمد بن محمد التجيبي (عاش خلال ق 06 هـ / 12م)، نفاعا لأصحابه، وذوي معرفته بجاهه وماله، مغشي الجنب،² كتب للمستنصر أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، كما تولى قضاء تلمسان مدة، وسكن بعضهم منازل فخمة وملكوا الخدم،³ ونظرا لمكانتهم الاجتماعية تلك فقد رغب الكثيرون في التقرب إليهم، وإقامة روابط وعلاقات اجتماعية معهم خاصة عن طريق المصاهرة،⁴ بل وحافظ عدد منهم على مكانته تلك حتى بعد وفاته، إذ تشير المصادر إلى أن جنائز بعضهم كانت مشهورة وحضرها الأمراء وذوو الجاه والسلطة.

وإن كانت هاته هي الحالة الاجتماعية للكتاب الأندلسيين ببلاد المغرب الأوسط، فإن حال نظرائهم من كتاب المغرب الأوسط بالاندلس لا تبدوا واضحة في المصادر، ومن المحتمل أن تكون أوضاعهم الاجتماعية أقل شأنًا خاصة وأن توظيف العنصر البربري في الوظائف السامية بالاندلس والمتعلقة بشؤون الدولة خلال هاته الفترة كان يعد من الأمور النادرة، ولا توجد منه إلا حالات قليلة، من ذلك أبو عبد الله محمد بن حسان الشهير "بابن الميلي" ت 590م/1193م، الذي كان يعمل كاتبًا عند أحد أعيان الأندلس،⁵ وكذلك مروان ابن عمار بن يحيى البجائي ت 610هـ/1213م، كان من الأدباء النبهاء مشاركا في أبواب من العلم حسن الخط جيد الضبط، دخل بلنسية كاتبًا لبعض الأمراء بها حيث أتيحت له الفرصة بتوليه الكتابة لأن يقيم علاقات صداقة مع غيره من أهل الأندلس، ويظهر ذلك فيما ذكره ابن الأبار نقلا عن أحد أصحابه الأندلسيين وهو يصف علاقته به،⁶ وباستثناء هاتين الشخصيتين لم أعثر على نماذج أخرى بناء على المصادر التي كانت في المتناول مما يعني أن البربر قد استعبدوا تماما عن خطة الكتابة بالاندلس وأن مكانتهم الاجتماعية كانت أقل شأنًا من الكتاب الأندلسيين بسبب ذلك.

1 - عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 5، قسم 1، ص 263.

2 - ابن الأبار، التكملة، ج1، ص 119.

3 - الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، مصر، مطبعة السعادة، د. ط، 1907، ص 217، 247.

4 - مثال ذلك مصاهرة أحد أعيان الأندلس، لعبد الملك بن عياش في الذيل والتكملة، سفر 05، قسم 1، ص 27.

5 - ابن الزيات التديلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيى)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ط2، 1997، ص 622.

6 - ابن الأبار، التكملة، ج2، ص 698-699.

ويلحق بهذه الطبقة أيضا شريحة العلماء من فقهاء ومحدثين، خاصة ممن ارتبطوا بجهاز السلطة فقد كانت لهم مكانة متميزة، إذ تشير النصوص إلى ما حظي به هؤلاء من جاه وثناء جعل الكثيرين منهم يتصدرون سلم الهرم الاجتماعي، ويبدو أن هذا الوضع كان عاما سواء بالنسبة للعلماء الأندلس ببلاد المغرب الأوسط أو العكس، ويمكن أن نستدل على ذلك بذكر روايات تبين سعة العيش والرفاهية التي لحقتهم كمحمد بن عبد الرحمن ت (434 هـ / 1038 م)، من أهل قرطبة ودخل الجزائر، كان في الفقه إماما ومن بيت رياسة وجلالة في الدنيا وتصرف مع السلاطين،¹ وكذلك نال الفقيه الأندلسي عبد الله بن محمد الحمداني ت (557 هـ / 1161م)، والذي سكن وهران بخدمة السلطان دنيا عريضة،² ومثلها المحدث أحمد بن عبد الصمد القرطبي ت 582 هـ / 1186م الذي سكن بجاية وكان مشهورا بالحفظ للحديث وتعلق بالرئاسة، ونال حظوة وجاها.³

كما تمتع علماء المغرب الأوسط بنفس تلك المكانة في الأندلس، فقد نال الفقيه حجاج بن يوسف الهواري البجائي ت 572 هـ / 1176 م، الذي سكن تجيب دنيا عريضة، وأورث عقبه نباهة،⁴ كما كان الفقيه المحدث ميمون بن جبارة التلمساني ت (584 هـ / 1188م)، ممن سكنوا بلنسية وافر الجاه عظيم الحرمة،⁵ وكذلك الشأن مع عبد الله بن أحمد البجائي ت (620 هـ / 1223 م) الذي ولي القضاء ببلنسية مدة، كان وجيها نبيها صاحب ثروة،⁶ والظاهر أن هذه الثروات التي اكتسبوها إلى جانب الجاه، قد أعطتهم مركزا قل نظيره عند غيرهم، حتى أن منهم من كان يحظى بتقدير العامة، مثال ذلك موسى بن حماد الصنهاجي البجائي ت (535 هـ / 1139 م)، حيث تذكر إحدى الروايات أنه لما كان في طريقه من غرناطة نحو مراكش لإقامة صلاة الاستسقاء، رافقه الخاصة والعامة إلى أن وصلوا معه إلى مالقة والجزيرة الخضراء وودوا

1 - الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ص 86.

2 - ابن الأبار، التكملة، ج2، ص 917.

3 - المصدر نفسه، ج1، ص85.

4 - ابن الأبار، التكملة، ج1، ص 279.

5 - المصدر نفسه، ج2، ص 719.

6 - المصدر نفسه، ج2، ص 932.

ألا يفارقوه، وكذلك المحدث محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي ت (625هـ / 1128 م)، قاضي تلمسان كان معظما ببلاده وبالأندلس عند الخاصة والعامة.¹

كما وأن تتبع النصوص يسمح بمعرفة المكانة التي حصلوها، حيث نال بعضهم مناصب إدارية عليا، كحسين بن محمد بن سلمون المسيلي ت (431 هـ / 1039 م)، الذي ولاه سليمان بن الحكم الشورى بقرطبة،² كما تولى محمد بن إبراهيم البجائي ت 612 / 5 1215 م قضاء مرسية.³

وقد حظي بعض علماء الأندلس بمثل ذلك في المغرب الأوسط كحال أحمد بن عبد الرحمن القرطبي ت (592هـ / 1195 م)، الذي ولي قضاء بجاية على عهد يعقوب بن عبد المؤمن،⁴ وأيضا أحمد أحمد بن عتيق البنسي ت 601 / 5 1204 م، الذي سكن تلمسان نال عند المنصور من بني عبد المؤمن وابنه الناصر جاها، حيث استخلصه المنصور وبسط أمره، و لم تنزل مكانته تترقى حتى بلغ الغاية، ولم يزل إحسانه متواليا عليه حتى أثرت حاله وتأثرت أموالا جمة، وقدمه المنصور للشورى والفتوى في القضايا الشرعية، فكانت الفتوى في النوازل والأحكام تصدر عنه.⁵ هذا وإن أكثرهم قد عاشوا حياة الترف، وسكنوا الدور الفخمة وتأثروا في المأكل والملبس والتنزه، وملكوا الخدم.⁶

ولتبقى مكانتهم متميزة في المجتمع حتى بعد وفاتهم، فقد خصصت لبعضهم أماكن خاصة لدفنهم، وحضرت مراسيم تشييع جنازتهم شخصيات بارزة، وبذلك يتضح أن العلماء وبخاصة منهم الفقهاء والمحدثين كانوا قد شكلوا فئة اجتماعية لها وزنها، وعاش أكثريتهم حياة الرخاء والترف. ولا يمكن الحديث عن الطبقة الخاصة من دون التطرق إلى فئة العائلات الوجيهة التي تتمثل في عدد من البيوتات ممن توارث أفرادها مكانة عن أسلافهم، والذين كان لهم دور بارز في تاريخ المغرب والاندلس، وتزخر كتب الطبقات والتراجم والسير بذكر تلك البيوتات، كما أشادت بالمكانة التي اكتسبتها بفضل أموالها من التجارة أو درجتها العلمية، أو بسبب الوظائف

1 - ابن الأبار، التكملة، ج2، ص 623.

2 - ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص 145.

3 - ابن الأبار، التكملة، ج2، ص 684-685.

4 - عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم1، ص 217-223.

5 - المصدر نفسه، سفر 1، قسم 1، ص 280-281.

6 - ابن الأبار، التكملة، ج1، ص 419.

السامية التي نقلها أفرادها في جهاز الدولة، وقد تجتمع معظم هذه المواصفات في بعض البيوتات،¹ ومع ذلك فإن الذي يهم منها هو البيوتات الأندلسية التي استقرت ببلاد المغرب الأوسط ونظيرتهما بالأندلس خلال القرنين 05-06 هـ / 12م، ومع أنها قليلة في هاته الفترة ولا تكاد تذكر إلا أنه لا بد من الوقوف عندها خاصة وأنه قد اشتهر منها بيت أندلسي بالمغرب الأوسط منذ أيام العبيديين وهو بيت بني حمدون بالمسيلة، فقد كان لهذا الأخير ولأبيه وأخيه جعفر رئاسة معروفة ونباهة، بل أن علي بن حمدون هو الذي بني المسيلة من بلاد الزاب الأكبر وسكنها ابنه جعفر فعظم شأنه، واستمر نفوذ هاته الأسرة على عهد بني حماد الصنهاجيين، حيث خدموا البلاط الحاكم ببجاية، واشتهر منهم محمد بن علي بن حمدون وزير بني الناصر، وباستثناء هاته الأسرة التي حظيت بمكانة رفيعة لدى السلطة بالمغرب الأوسط، وتمتع أفرادها بنفوذ سياسي، لا نجد ذكر أسماء أسر أخرى ولا حتى القرن 06 هـ / 12م، ولعل مرة ذلك راجع كما سبق وأشرنا إلى أن الطابع الغالب على الهجرة الأندلسية نحو المغرب الأوسط في هاته الفترة هو الهجرات الفردية، ولعل هناك أسرا قد انتقلت لكن المصادر أهملتها إما لأنها من ضمن العامة فلم يكن لها دور بارز يذكر، أو أن أفرادها لم يبلغوا درجة من العلم أو الولاية أو الثروة.

وأما عن البيوتات النبوية من المغرب الأوسط والتي ذاع صيتها بالأندلس فنجد بيت بني الطبي في قرطبة، وبيت بني برزال في قرمونة، وبني زيري الصنهاجيون بغرناطة خلال القرن 05 هـ / 11م، وبيت بني سمحون التلمساني، وبني حجاج الهواري البجائي، وبيت بني إبراهيم الداني في القرن 06 هـ / 12م، ولقد اشتهرت هاته البيوتات بعلمها وثروتها ورياستها، فبيت بني الطبي على حسب ما جاء في وصف المصادر لهم: «بيت أدب وشعر وجلالة ورياسة».²

أول من دخل منهم الأندلس كان أبو مضر أحمد بن محمد بن حسين التميمي الطبني ت 394هـ/1003م، الذي قدم قرطبة سنة 331هـ/942م، قال عنه ابن بسام: « أول من بنى بيت

1 - ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص229.

2 - لقد صنف ابن سعيد بيت بني الطبي في مؤلفه: "المغرب في حلى المغرب" ضمن كتاب: الياقوت في حلى ذوي البيوت، ج1، ص 206-207.

شرفهم، ورفع بالأندلس صوته بنباهة سلفهم كان شاعرا عالما بأخبار العرب وأنسابهم»،¹ وله أولاد نجباء مبرزون في الأدب والفضل.²

منهم: زيادة الله ت (15هـ/1024م)، الذي كان من أهل العلم بالآداب واللغات،³ وله هو الآخر أبناء بزغ نجمهم في سماء الأدب والشعر منهم: عبد الرحمن بن زيادة الله ت (401هـ/1010م)،⁴ وعبد العزيز بن زيادة ت (436هـ / 1044م)،⁵ وابنه أبو الحسن بن عبد العزيز الذي قيل بأنه من أشعر بني الطيبي،⁶ وأبو مروان عبد الملك بن زيادة الله ت 457هـ/1064م، قال عنه ابن بسام: أحد حماة سرح الكلام، وحملت ألوية الأقاليم من أهل الحديث والأدب إمام في اللغة وشاعرا،⁷ ولم يختلف عنهم أبناء عمومته في ذلك.⁸

أما بيت يوسف بن حجاج بن يوسف الهواري ت (572هـ/1176م)، والذي ينحدر في أصوله من المغرب الأوسط وتحديدا من بجاية فقد اختص أفراده بالفقه والحديث والأدب، وقال ابن الآبار عن يوسف أنه: «كان من أهل العلم والآداب فصيحاً مفوهاً مدركاً، نال دنيا عريضة، وأورث عقبه نباهة»،⁹ ونظراً للمكانة العلمية التي تمتعت بها هاته الأسر، فقد حظيت بالتوقير والاحترام من جانب السلطة وذلك انطلاقاً من الوظائف التي تقلدوها، في حين تمكنت بيوتات أخرى من اعتلاء وتقلد زمام السلطة بالأندلس كبيت بني زيري الذين استقلوا بحكم غرناطة وأسسوا مملكة امتدت من 403هـ إلى 483هـ / 1012-1090م، وتعاقب على حكمها أبناء الأسرة، والأمر ذاته كان مع بيت بني برزال الذين استفردوا بحكم وإدارة إقليم قرمونة، أين أسسوا إمارة بربرية هناك في الفترة ما بين (404هـ-459هـ/1013م-1067م)،¹⁰ ويبدو أن هاته

1 - ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص 562.

2 - الحميدي أبو عبد الله محمد، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، د.ط، 1989، ص 47.

3 - ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص 190.

4 - المصدر نفسه، ج2، ص 296-297.

5 - المصدر نفسه، ج1، ص 352.

6 - ابن بسام، الذخيرة، قسم1، مجلد 2، ص64.

7 - ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص 345.

8 - الحميدي، جذوة المقتبس، ص 149.

9 - ابن الآبار، التكملة، ج1، ص 279.

10 - عن بني برزال ابن حبان، المقتبس، تحقيق محمود على مكي، ص 182-192.

البيوتات قد احتلت مكانة اجتماعية متميزة بالاندلس وأن أصحابها عاشوا حياة الدعة والترف وسكنوا الدور الفخمة،¹ مما يجعلنا نؤمن بأنها كانت شبيهة بدور الأرسقراطية الأندلسية التي يستمر العبيد للخدمة داخلها، حيث يصف المقرئ بأنها كانت تشكل معالم عمرانية تتميز بشساعة مساحتها واحتوائها على حجرات كبيرة مع التفتن في تزيينها،² كما خصصت للأعيان منهم مقابر خاصة،³ ورثاهم الشعراء.

زيادة على أن تلك المكانة الاجتماعية فسحت المجال أمام أفراد تلك الأسر لإقامة روابط وعلاقات صداقة ودية جمعت بينهم وبين نظرائهم من أرباب البيوتات وأعيان الأندلس، وكانت في ذات الوقت سببا في نقمة البعض عليهم بغضا وحسدا فيما حصلوه،⁴ وبهذا يتضح أن بعض الأسر التي تعود أصولها إلى بلاد المغرب الأوسط قد استطاعت أن تحصل مكانة اجتماعية متميزة بالاندلس ونفوذ يعادل ويوازي نظيراتها من الأسر الأندلسية خلال القرنين 05-06 هـ/ 11-12م.

كما يضاف إلى الطبقة الخاصة أيضا أطباء وشعراء السلطة الذين خدموا، وتعلقوا بها، رغم أن المصادر تسكت عن ذكر وضعيتهم الاجتماعية، إلا أنها أشارت إلى أسماء الذين ارتبطوا منهم ببلاط الحكام كأبي جعفر الذهبي ت (601 هـ / 1204م) بتلمسان، والذي كان فاضلا عالما بصناعة الطب جيد المعرفة لها حسن التآني في أعمالها خدم المنصور بالطب وكذلك خدم بعده للناصر ولده،⁵ والشاعر أبي الحسن علي بن الفضل ت 627 هـ/ 1229م، من أعيان أريولة، كان يجيد الشعر والغناء، ومدح بني عبد المؤمن باشبيلية، وقد أشار ابن سعيد إلى جاهه وثرائه حيث قال: وحسبك أنه له لم يكد يخلو من وجه جميل وكأس وخليل، ومحاضرات أشهى من بلوغ الآمال وأحلى».

وبذلك نستنتج أن شرائح اجتماعية وفئات عدة استفادت من أوضاع ميزها الترف وحيوة الرفاهية لاقتربها من السلطة الحاكمة سواء ببلاد المغرب الأوسط أو بلاد الأندلس، وقد شكلت

1 - ابن عذارى، البيان، ج3، ص 267.

2 - نفح الطيب، ج3، ص 214، 220.

3 - ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج2، ص120.

4 - راجع، ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص97.

5 - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج3، ص 132.

أقلية مقارنة مع الطبقة التالية وهي طبقة العامة التي تمثل الأغلبية، وتضم شرائح ظروفها تختلف عن ظروف طبقة الخواص.

ثالثا : الهجرة الأندلسية اتجاه المغرب الأوسط

تعد حركة الهجرة الأندلسية نحو بلاد المغرب من أهم المظاهر التي شهدتها بلاد المغرب خلال القرنين 2-4هـ ومع ما تعرضت إليه بلاد الأندلس من اضطرابات مما اضطر سكان هذه الحواضر والمدن الإسلامية في بلاد الأندلس بعد سقوطها بيد النصارى حيث اختار الأغلب منهم الهجرة إلى بلاد المغرب عامة إذا استقبلت بلاد المغرب عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين. فكان المغرب الأوسط ملجأ للكثير منهم فقد دفعتهم أسباب أخرى للهجرة أدت بهم إلى المغرب قال المؤلف عنها الله عنه: وقد وجدت مقيد ما نصه من تلك الواقعة "أي واقعة التي وقعت أيام الأمير محمد بن علي نصر الحرجي المبايع في غرناطة في ذي القعدة 892هـ وعليه قامت النصرانية في جميع مدائن الأندلس ونهبت أموال المسلمين وأملاكهم ومن بقي على ملكه وجب عليه الأسر أو يكون على دين النصرانية حيث ضعفت قوة ذوي الإسلام وماتت الأبطال.¹ كما أدى الموقع المتطرف والمنعزل يدفع الأندلسي إلى التوحد فإن الموضع المنقطع دائما والمتناقص أحيانا، كان يدفع الأندلس إلى التعدد وترك أثره في أن صار الاستقرار الإسلامي من بدايته غير متوازن مما هيا الفرصة لأن تنشأ نواة نصرانية معادية في قاصية الشمال توسعت بعد حساب المسلمين.²

حيث زالت حرمة الإسلام عند المسلمين وقطع لهم الأذان في الصوامع والاجتماع للصلوات في المساجد من أراد الصلاة فعلها في داره. هذا كله أدى بخروج أهل داينة وأهل جزيرة صقلية في أربعة أيام إلى تونس والجزائر والقيروان، وخرج أهل القلعة إلى "أجدير".³

أما عن الصعيد السياسي : والأخطر من ذلك ما أسفر عنه الموقع المتعدد من نزعة محليق وتحققت داخل المجتمعات الأندلسية الصغيرة، وأعان عليها ما كانت تواجهه هذه

¹ - الفريد البستاني، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1423، 1، 2002م، ص 67

² - عبادة عبد الرحمان كحيل، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1995، ص67.

³ - الفريد البستاني، مرجع سابق، ص47

المجتمعات من مشكلات وأعان عليها صعوبة المواصلات بين بعضها البعض وبينها وبين المركز في قرطبة أو غيرها. وصار لكل مجتمع منها مدينة الحصينة أو "مدته الحصينة"¹. لقد سبق وأن رأينا يسر الأمور في إمارة الأندلس بعد الرحمان الداخل وكيف استطاع الأمراء الثلاثة والذي كان آخرهم عبد الرحمان الثاني من تثبيت دعائم الإمارة وإحلال السلام فيها وشيوع مظاهرة الحضارة في مختلف نواحي الحياة، فكانت قرطبة في عهدهم قوة مركزية دانت لها كل الأقاليم بعد أن نجح أمراء من إخماد الثورات والتفت الداخلية وأوقفوا الغزوات والتوسع المسيحي في قلب الأندلس كما حافظ الأمراء السابقين على التفوق السياسي والعسكري للإمارة وكان الهدف من ذلك بقاء على الإمارة تعيش بسلام وسط محل الظروف الصعبة.

والتزم الأمير عبد الرحمان مع شموخ عزته من إكرام طبقات أهل العلم، الفقهاء والأدباء والشعراء، بإيجاب حقوقهم وإسعافهم بمطالبهم، أعظم ما إلتزمه أمير سمع عنه وصير للفقهاء والمفتيين درجة عليهم، فظل يلتزم من إعظام زعيمهم يحي بن يحي مثل ما يلتزمه الابن البر لأب الحاني.²

كما كان لعبد الرحمان الأوسط فضل عظيم في رعاية العلوم والآداب الفنون والموسيقى، وقد ظهر في عهد نخبة من العلماء والأدباء والقضاة مثل عبد الله بن الشمر وإبراهيم بن سليمان الشامي وعثمان بن المثني.³

لم تكن قرطبة مزدهرة عمرانياً فقط، بل إلى جاب ذلك قلعة علمية عظيمة شامخة تغض بعض مكتباتها بآلاف المخطوطات النفسية الأصلية والمترجمة وتعد أروقة مساجدها وقصورها بنخبة كبيرة من العلماء والشعراء والمتقنين ويستقويهم المناخ الفكري الفرديفي المدينة. هذه النهضة العلمية والأدبية التي شقت طريقها في الأندلس على يد الأمير عبد الرحمان الثالث كانت قد بلغت مرحلة النضج والعطاء في عهد الناصر وعلى الأخص في أيام خليفته المتقف وصاحب مكتبة في ذلك الوقت.⁴

¹ - عبادة عبد الرحمان، مرجع سابق، ص 67.

² - ابن حيان القرطبي، المفتيس، تحقيق محمود علي مكي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط 1 ، 1424 - 2003م ، ص 298.

³ - أحمد فكري، قرطبة في العصر الوسيط ، تاريخ وحضارة ، الإسكندرية، مؤسسة لشباب الجامعة، 1983، ص 51

⁴ - علي حسين الشطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص 163.

النصف الأخير من القرن الثالث الهجري من أهم الفترات في تاريخ الأندلس فقد صنعت الإمارة الأموية في الأندلس واشتد عدوان النصارى. شهدت الأندلس مرحلة نمو وازدهار حضاري طوال عهد الأمير عبد الرحمان الداخل وخلفائه من بعده أتى وفاة عبد الرحمان بن الحكم (206-237هـ/821-852م) حاول بها استعادة ما فقده آباؤه في المشرق فقد أحيا اسم الدولة الأموية على شكل إمارة بعد انتزاع الأندلس من الولاة الذين تعاقبوا على حكم هذه البلاد.

لما توفي الحكم الثاني لم يترك خلفا له إلا ابنا صغيرا لا يصلح للحكم هو هشام الثاني ولد عام

354هـ/956م وكان ثم زواج الخليفة من أم ولد هي صبح وما إن أحيطت دسائس القصر حتى أصبح الطريق ممهدا أمام رحل طموح على الضمة لم يلبث أن فيض على زمام السلطة ووجه أقدار الخلافة من جديد ألا وهو الحاجب المشهور محمد بن أبي عامر الذي لقب المنصور.

1

وهذا ما أكده ابن عذارى المراكشي يقول قد ذكرنا ما كان من تداول الولاة والأمراء والثوار من حيث الفتح إلى خلافة عبد الرحمان الداخل ثم تداول الأمراء الأمويين من بعده إلة دولة ابن أبي عامر وذكرنا من ولي الخلافة بقرطبة في زمان الفتنة إلى سنة اثنين وعشرين وأربعمائة وهو حيث خلع أهل قرطبة بني أمية أجمعين.²

فأقام الحكم للعلماء والعلماء سلطانا نفقت فيها بضائعه من كل قطر، ووفد أبو علي الغالي صاحب كتاب الأمانى من بغداد فأكره مثنواه وحسنت منزلته عنده وأورث أهل الأندلس علمه، واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه، وكان يبعث في الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار ويسرب إليهم الأموال لشرائها، وبعث في كتاب الأغاني إلى مصنفة أبي الفرج الأصفهاني وكان نسبه في بني أمية، وأرسل إليه فيه ألف دينار من الذهب العين، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرج به بالعراق وذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وأمثال ذلك.³

¹ - كولان، الأندلس، ترجمة حسن عثمان وآخرون، بيروت لبنان، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ط1، 1980، ص123

² - ابن عذارى المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وبيقي بروفسال، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ط2، 1983، ج 3، ص 155.

³ - عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن (732-808هـ/)

وقد تنافس الناس في تلك الفترة في اقتناء الكتب على مذهب الحكم فكثرت المكتبات الخاصة وعلى رأسها مكتبة المحكم نفسه التي بلغت عنه مجلداتها أربعمئة ألف مجلد، وبهذا كله بلغ عصر الإمارة والخلافة في الأندلس أوج الازدهار ومجده.¹

وهذا ما أكده المقرئ في كتابه نفع الطيب أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة وكل فهرسة عشرون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير.² بالإضافة إلى طليطلة فقد أسهمت في الحركة الفكرية من الحضارة الإسلامية إسهاما بارزا وكانت مركزا علميا في الأندلس تنوعت اهتماماته العلمية وذخر بحلبة العلماء الناجعين الذين كانت لهم إسهامات في علوم شتى ونقلية وعقلية.³

إن تحقق له ما أراد فإنه مع ذلك غرس الأحقاد والضغائر، فظهر نوع من التضامن أو التكتل القومي، إنه تضامن محلي تمخضت عنه ظهور عصبية أندلسية مناوئة للعناصر الجديدة الداخلية على الأندلس كالبربر والصقلية.

تتمثل مساوئ النظام العامري في أنه، وإن كان قد تمكن من أن يفيض على الأمور بيد من حديد أيام المنصور، فإنه مع ذلك تجرأ على إزالة الهيبة والاحترام اللذان كان للخلافة الأموية في نفوس غالبية الأندلسيين لأسباب حضارية وتاريخية.⁴

تعرضت البلاد بعدها الكثير من مظاهر الفوضى والاضطراب والفتن والثورات الداخلية واستغرقت هذه الفتن نحو من اثنين وسبعين عاما.

بوفاة المنصور سنة 392هـ وابنه عبد الملك سنة 399هـ دخلت الأندلس وقرطبة خاصة عهد الفتنة من بابه الواسع، فقد عاش فيها الفساد وشمل الخراب والدمار معظم مرافقها، لذا كان رد الفعل الطبيعي للكثير من الأندلسيين واعتبارها البديل السياسي القصير بإخراج الأندلس من

1406-1332م)، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، 1421 ج 4،

¹ - شاعر مصطفى، الأندلس في التاريخ، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1990، ص74

² - المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطب، (د ط)، ج 2، ص358

³ - محمد بركات البيلي، طليطلة في عصر الإسلام (92-477هـ، 716-1080)، القاهرة، دار النهضة العربية، 1993، ص121.

⁴ - سالم يفوت، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص

رطقها، وقد استغرقت الفئة في قرطبة زهاء ربع قرن (من 399-422هـ) انتهت بسقوط الخلافة وظهور ملوك الطوائف.¹

ومن مظاهر اهتمام عبد الرحمان الثالث بالعلم والتعليم ففي عهده ازدحمت قرطبة بسكانها، فاتخذت لنفسه مدينة بالقرب من قرطبة وسماها مدينة الزهراء، ورأى أن يجعلها مكتمة المعالم والاحتياجات، فبنى بها مسجد ليكون كغيره من المساجد الإسلامية مركزا للعلم ومجمعا للعلماء ومنا إتشع منه المعارف.²

كما شهد الآداب والموسيقى والعلوم والفنون انتعاشا كبيرا وبذلك استطاعت قرطبة أن تشكل لوحة متعددة الألوان للحاضرة الأندلسية في عهد عبد الرحمان الثالث، فهي الأدب نبغ أبو عبد الله محمد بن مسعود القرطبي، وأبو جعفر أحمد بن شطرية القرطبي.

ومن حسن الطالع أن الذي خلف عبد الرمان الناصر، كان كبيرا أولاده وولي عهد الحكم الذي اتخذ لقب المستنصر بالله (350-366هـ/971-976م) وكان خير خلق لخير سلف ونستطيع أن نقول إن حكمه كان مكملا لحكم أبيه، ولم يكن الحكم مجرد حاكم يعطف على العلماء ويرعى العلوم بل كان هو نفسه عالما مشاركا في علوم عصره، فقد كان مثقفا للعلوم الإسلامية حتى سمع الحديث لطلب العلم ولا يرد منهم أحد.³

والمعروف هو أن الحكم ملكا جليلا عظيم الصيت رفيع القدر عالي الهمة، فقيها بالمذهب عالما بالأنساب، حافظا للتاريخ، جماعا للكتب، وثمة جانب آخر يتحلى فيه الحكم هو حبه للعلم ورعايته للعلماء حيث جمع العلماء من كل قطر ولم يكن في بني أمية أعظم همة، ولا أجل رتبة في العلم وغوامض الفنون منه.⁴

من الواضح أن نتيجة السياسة الأندلسية والحمادية التي سادت أيام الدولة الحمادية، كانت العلاقة بين الأندلس وبني حماد علاقة اقتصادية واجتماعية وثقافية أكثر منها سياسية.⁵

¹ - سالم يفوت، مرجع سابق، ص 31

² - جودة هلال، و محمد محمود صبح، قرطبة في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 45

³ - حسن مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، ط، دار الرشد، 1418-1997م، ص383.

⁴ - ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه محمد عبد الله عنان، القاهرة، م1، مكتبة الخاوي، ط1393، 2-1973م،

ص478

⁵ - عبد الحليم عويس، مرجع سابق، ص 221

كانت الجزائر في أوائل القرن العاشر مرتعا للحروب الأهلية الممزقة وغرضا ملحوظا للأجانب المتونيين، تعاني الأمرين من الملوك المتنافسين والرؤساء الجائرين المتنازعين والنصارى المغيرين تنميما لبرامجهم وخططهم الصليبية المرسومة فكثرت ازدحامهم واشتدت تحاكمهم على هذا الشمال الإفريقي وخاصة منه الجزائر، وذلك بعد ما قضاوا على دولة الإسلام والمسلمين بالاندلس والصقلية.¹

بعد هجرة الكثير من الأندلسيين إلى أنحاء المغرب المختلفة وخاصة المغرب الأوسط، وقد ترتب على هذه الهجرة في النهاية وجود تأثيرهم في المجالات المختلفة سواء على المستوى السياسي والاقتصادي والفكري وخير دليل على ذلك كانت المدن الحمادية تضم أعدادا قصيرة من هؤلاء المهاجرين الأندلسيين الذين نقلوا إلى الجزائر خيرتهم وعلومهم اندمجوا في المجتمع الجزائري اندماجا تاما.²

واستكمالاً لمسيرة الرعاية والتشجيع التي خطي بها العلماء خلال العصر الإمارة الأموية في الأندلس فقد شهد عصر الخليفة عبد الرحمان الناصر (300-350 هـ - 912-971م) نهضة حضارية شاملة، وكانت العاصمة القرطبية أهم الحواضر التي احتضنت معطيات النهضة الحضارية يوصفها المدينة الأم ومهد الفنون والآداب والعلوم والعمران، وكانت قرطبة أكثر بلاد الأندلس كتباً وأهلها أشد الناس اعتناءً بخزائن، كما ذكر ابن سعيد وقد اغرم أهل قرطبة باقتناء الكتب حتى كانت من أشهر وأروج تجارة فيه بذلك قالوا: "إذا مات عالم في اشبيلية فأريد بيع كتبه حملت قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى اشبيلية".

فقد تمكنت من منافسة بغداد عاصمة الخلافة العباسية وبغداد تقاسما حضارياً، العالم الإسلامي المترامي الأطراف، من البوابة الغربية لأوروبا إلى حدود الصين شرقاً، اشتهرت "مكتبة قرطبة" مما يعني أن عبد الرحمان الثالث أولى اهتماماً خاصة للنهضة العلمية والأدبية التي عرفتها قرطبة عهده.³

¹ - عبد الرحمان بن محمد الجبالي: تاريخ الجزائر العام، ط2، 1965-1385 م، ج 2، ص 221

² - عبد الحليم عويس، مرجع سابق، ص 184.

³ - سوزي حمود، الأندلس في العصر، منذ حملة طارق بن زياد إلى وفاة عبد الرحمان الثالث الناصر لدين الله، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، ط1، 1430 هـ - 2009م، ص 86

انتقل علماء الأندلس إلى الدولة الحمادية، وشجع أهل المغرب الأوسط أبنائهم على تلقي العلوم على أيدي هؤلاء العلماء ، مما أشاع جوا حضاريا وعلميا لم تشهده البلاد من قبل خاصة بعد أن فصل المجال أمام هؤلاء العلماء لكي يشاركوا في حلقات الدروس في المساجد والمدارس ولاسيما في جامعة سيدي التواتي التي كانت تضم حوالي ثلاثة آلاف طالب "وكان يدرس بها ما لا يقل عن عشرة من علماء الأندلس إلى المغرب الأوسط نجد صنفين من العلماء. منهم من هاجروا بغير إرادتهم كالنفي¹ مثل: الشاعر ابن هاني ولد الشاعر الذائع الصيت ابن هاني (362 هـ. 973 م) في اشبيلية من أب أصله من ضواحي المهديّة واضطر إلى الهجرة من الأندلس إلى المغرب الأوسط وهو يبلغ من عمره 27 سنة، فقد أنكر عليه أهل اشبيلية مجونه وشغفه بالفلسفة و أجبروا أميرهم على إبعاد شاعره المفضل و بعد مدح ابن هاني القائد جوهر، ذهب إلى المسيلة ودخل أولاده في خدمة جعفر بن علي بن حمدون وأخيه يحي، ثم في خدمة المغرديت الذي بادر إلى إلحاقه بخاصته.

ومنهم الذين هاجروا بمحض إرادتهم ولم يختاروا الإقامة لا بالمغرب الأقصى ولا بالمغرب الأدنى لأسباب سياسية أو دينية متعلقة بالمزبم والعقيدة " أحمد بن عبد الله بن ذاكون المكنى بأبي العباس "وهو أخذ أبرز العلماء وكان يشتغل قاض قضاة الأندلس عمر بن عبد الله بن زاهر أحمد بن ظاهر بن علي والمكنى بأبي حفص القطبي .²

استقبلت القلعة المهاجرين سواء كانوا على شكل جماعات أو أفراد فارين من السلطات المرابطي الذي كان يتمركز في المغرب، أو الفارين من الحرب الأهلية التي حدثت بقرطبة والمعروفة بالفتنة القرطبية في نهاية المئة الرابعة، ومثال ذلك من علماء الأندلس الوافدين أحمد بن علي بن حمد بن خلف الأنصاري البلني ومنهم أيضا أحمد بن خطيب (450 هـ. 1058 م).³

عز الدولة الواثق أبو محمد عبد الله بن المعتصم بن صمادح فارتحل هذا الأمير بأهله وماله من الأندلس إلى الجزائر، فنزل على الملك " المنصور " ببجاية فاكره، فقد زاره أثناء مقامه

¹ - عبد الغني حروز، الحياة العلمية في قلعة بني حماد، رسالة ماجستير ، بوزريعة، الجزائر، السنة الجامعية 2010-2011، ص116.

² - عبد الغني حروز، مرجع سابق، ص117

³ - عبد الغني حروز، مرجع نفسه، ص 49.

ببجاية الشاعر الأندلسي ((ابن الليافة)) فقال ما علمت جود الدهر حتى اجتمعت ببجاية مع عز الدولة ابن المعتصم بن صمادح فإنني رأيت من خير من يجتمع به كأنه لم يخلق الله إلا للملك والرئاسة مع حفظه لفنون والأدب والتواريخ وحسن استماعه وإسماعه ورقة طباعه ولطافة ذهنه.

الخاتمة

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى جملة من النتائج التي كانت إجابة على الإشكاليات المطروحة و هي:

تعتبر العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط و الأندلس في الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى غاية القرن الثامن هجريين إحدى مظاهر حلقات التواصل بين المغرب الأوسط و الأندلس تعود جذورها التاريخية إلى دخول الإسلام أرض الأندلس عن طريق المغرب ومن العوامل المشجعة على ظهور العلاقات الثقافية للأندلس مع المغرب الأوسط القرب الجغرافي، فالمغرب الأوسط و الأندلس لا يفصلهما سوى البحر الأبيض المتوسط فقد كان جغرافيو في العصور الوسطى يقابلون بين المدن الأندلسية ومدن المغرب الأوسط، بالإضافة إلى ذلك هناك ظروف سياسية جمعت بين المغرب الأوسط والأندلس، فقد قامت علاقات بين الدولة الأموية في الأندلس والرستمية في المغرب الأوسط على أساس التحالف المتين منذ وقت مبكر فقد كانت الدولة الرستمية الحير الذي ضمن استمرار التدفق الحضاري من المشرق على بلاد الأندلس فعن طريق الرستميين نجح أمراء بنو أمية في الحصول على ما يحتاجون إليه من مؤلفات في المشرق ومن علمائه وبذلك يكون حكام تيهرت قد قاموا بدور الوسيط الثقافي حيث أخذوا من المشرق وأعطوا للأندلس إضافة إلى ذلك تشجيع حكام بلاد المغرب والأندلس للعلم و احتضانهم للعلماء من باب شغفهم وحبهم للعلم.

ازدهرت العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط و الأندلس بفعل مجموعة من العوامل التي كان لها دور كبير في تمتين الأواصر الثقافية بينهما، أهمها الرحلة في طلب العلم التي كانت مظهرا مشرفا ونبيلاً في الثقافة العربية الإسلامية حيث ظل العلماء الأندلسيون والمغرب الأوسط يتبادلون الرحلات ليركعوا من ينابيع المعرفة والسماع من أكابر العلماء والمفكرين ومجالستهم ومناقشتهم لقد كان المتعلمون أو طلاب العلم يلتمسون مشافهة الرجال والاتصال بهم شخصياً وكانوا يفتخرون بذلك ويتباهون فكان طلاب المغرب يتركون بلدتهم بعد أن يحصلوا على ما لدى علمائها فيتجهون إلى مراكز العلم المنتشر في أنحاء العالم الإسلامي ويكابدون مشاق السفر واقطاره الذي يعجز المرء عن وصفه، ومن دوافع الرحلة دعوة الإسلام للعلم و تحصيله و مما أعان على كثرة الرحلات ما كان يلقاه طلاب العلم من رعاية أثناء رحلتهم لما أوصى به الإسلام من البر بأبناء السبيل والعطف عليه ومما شجع على ذلك أن حكام المغرب الأوسط و

الخاتمة

الأندلس لم يضعوا مانعا أمام حركة العلماء والإقامة في ربوع دولتهم والتمتع بكل المميزات التي يتمتع بها أقرانهم من أهل العلم وقد شغل بعض هؤلاء الوافدين مراكز كبرى في الدولة، وقد مكنت الرحلة بين القطرين من نسج خيوط التواصل وتبادل الثقافات فقد مست حقولا معرفية مختلفة منها: العلوم الدينية بفروعها المختلفة، الفقه والأصول والحديث والقراءات وغيرها وفي ميدان الفقه كان الفقه المالكي هو محور الدراسات بين طلبة العلم وشيوخ المذهب من الاندلسيين والجزائريين، أما في ميدان العلوم اللغوية فقد كانت رواية الأشعار ومختلف المواد اللغوية والنحوية محور الدراسات كما ذكرنا عن زكريا الأشح التيهرتي الذي أدخل ديوان المتنبي رواية عن الشاعر أبي الطيب نفسه إلى المنطقة المغاربية الأندلسية وأبو إسحاق الإفريقي التنسي الذي تتلمذ لأبي علي القالي حيث روى بعض أماليه وهو ما يؤكد من جهة أخرى القيمة التوثيقية لهذه النصوص المروية مشابهة.

ومما لا شك فيه أن العلاقة التي تربط الأندلس ببلاد المغرب كانت وثيقة وعميقة ومتعدد المجالات حيث لا يمكن حصر الهجرة الأندلسية في فترة زمنية معينة ومحددة لأنها كانت حاضرة في مختلف الفترات بأعداد قليلة أو كثيرة والتي أخذنا منها مرحلتين: مرحلة ما قبل سقوط الدولة الأموية ومرحلة ما بعد سقوط الدولة الأموية (مرحلة عصر ملوك الطوائف وعهد الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط) حيث كان التأثير الأندلسي في مجتمع المغرب أكثر وضوحا لأن المجتمع الأندلسي كان أكثر تحظرا من المغرب الأوسط فقد تأثروا في ترتيب منازلهم وأثاثهم ولباسهم، كما كانت معالم التبادل الثقافي واضحة في الآراء والفتاوى وطرق التدريس والإجازات العلمية والأدب والفن والموسيقى والشعر والخط والنحو والبلاغة.

لقد أصبح من الجلي بعد ذلك أن نقول أن العلاقات الثقافية التي ربطت المغرب الأوسط بالأندلس خلال الفترة المذكورة تشهد بصحة هذه الروابط الثقافية والتواصلات المعرفية وقوتها واصلتها ومكانتها بين قطبين محوريين يقعان على ضفتي المتوسط من خلال الشخصيات الثقافية المهمة التي مثلت هذه العلاقات وكانت سببا في حصول اتصال ثقافي مثمر وبناء بين القطرين حيث دفع هذا الاتصال المثمر والفعال الحركة الثقافية في كلا المصيرين إلى الازدهار والنماء مع تعدد الرواق وتتوع المعطيات.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

1. ابن الخطيب السلماني، تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، ت: ليفي بروفنسال مكتبة الثقافة الدينية، 1998
2. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه محمد عبد الله عنان، القاهرة، م1، مكتبة الخاوي، ط1393، 2-1973م،
3. ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1963،
4. ابن الزيات التذلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيى)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ط1997، 2،
5. ابن السماك العاملي (أبو القاسم محمد بن أبي العلاء)، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011،
6. ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر، ابراهيم بجاز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985،
7. ابن الكريديوس (أبو مروان عبد الملك التوزري)، تاريخ الأندلس، (قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء)، تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، د.ط، 1971،
8. ابن بسام (أبو الحسن علي الشنتريني)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ط1، 1997، مجلد 4، قسم1،
9. ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم، نشر وتصحيح ومراجعة عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1994، 2، ج1،
10. ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي)، الرد على ابن النغزلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق: إحسان عباس، القاهرة، د.ط، دار العروبة للنشر، د. ت،
11. ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل و الأهواء و النحل، تح: محمد ابراهيم نصر عبد الرحمن عميرة، بيروت، دار الجيل، ط1996، 2، ج2،
12. ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، تحقيق محمد يوسف الشيخ محمد، وغريد يوسف الشيخ، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، 2005،
13. ابن حيان القرطبي، المفتيس، تحقيق محمود علي مكي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1424. 2003م،
14. ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله)، قلائد العقيان، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، تونس، دار التونسية للنشر، د. ط، 1990،

قائمة المصادر والمراجع

15. ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط 1972، 1، ج7،
16. ابن سعيد الغرناطي، المغرب في حلى المغرب، تح: خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1997، 1، ج1،
17. ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، تح وع: سماعيل العربي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1970،
18. ابن سعيد بيت بني الطيبي في مؤلفه: "المغرب في حلى المغرب" ضمن كتاب: الياقوت في حلى ذوي البيوت، ج1،
19. ابن صاحب الصلاة (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي)، المن بالإمامة - تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين-، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987،
20. ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك الباجي)، تاريخ المن بالإمامة، تحقيق: عبد الهادي التازي بيروت، دار المغرب الإسلامي، ط1987، 3،
21. ابن عذارى، البيان المغرب، (قسم الموحدين)، تحقيق إبراهيم الكتابي ومحمد بن ناويث، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د. ط، 1985،
22. ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983، ج1،
23. ابن مريم، من أهل القرن العاشر الهجري البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشره عبد الرحمان طالب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986م،
24. أبو الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تح: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط1983، 5،
25. أبو حامد الأندلسي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تح: إسماعيل العربي الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989،
26. أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ المحقق: إحسان عباس؛ بيروت، دار صادر، 1968،
27. الأعمى التطيلي (أبو جعفر بن عبد الله بن أبي هريرة)، ديوان الأعمى ومجموع موشحاته، تحقيق إحسان عباس، بيروت، المكتبة الأندلسية للنشر والتوزيع، دار الثقافة، د.ط، د.ت، ج16،
28. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تق وتع: حماد الله ولد السالم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2013،
29. البيدق (أبو بكر علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1986، 2،

قائمة المصادر والمراجع

30. التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقبان، تح: محمود بوعباد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985،
31. جمس. كولان، الأندلس، تر: إبراهيم فورشيد وآخرون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1980،
32. الحميدي (أبو عبد الله محمد)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، د.ط، 1989،
33. دومينيك فاليرين، بجاية ميناء مغاري (1067-1510م)، ترجمة عمار علاوة، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، ج1،
34. الذهبي، سير أعلام النبلاء وهامشه أحكام الرجال في ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تقديم حسين العفاني تح: خزي سعيد، القاهرة، المكتبة التوفيقية، (د.ت)، ج16، ج17
35. رشيد بورويبة، ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د. ط، 1982،
36. روجي غارودي، الإسلام في الغرب، تر: نوقان قرقوط، سوريا، دار دمشق للطباعة والنشر، ط1، 1995،
37. الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الجزائر، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979،
38. السقطي (أبو عبد الله، آداب الحسبة، نشر جورج كولان وإيفي بروفنسال، باريس، مكتبة ارنست لورو، د. ط، 1931،
39. الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1997،
40. الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أصل الأندلس، ت ابراهيم الابياري، الرباط، دار الكتاب المغربي،
41. عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن (732- هـ 1406/808-1332م)، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، 1421، ج 4،
42. عبد الرحمن ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، عارضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي الناشر: لبنان دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة: 1، 1425 هـ - 2004
43. الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية، تح: رابح بونار، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981،
44. الفتح بن خاقان، تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس المعروف بمطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: مديحة الشرقاوي، مصر بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2001،
45. القلصادي، تمهيد الطالب ومنتهى الراغب في أعلى المنازل، المعروفة برحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجلال، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1978م،
46. كولان، الأندلس، ترجمة حسن عثمان وآخرون، بيروت لبنان، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ط1، 1980،

قائمة المصادر والمراجع

47. لسان الدين بن الخطيب ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة و المغرب في القرن الثامن الهجري ، ت : محمد كمال شبانة · القاهرة. الناشر : سلسلة تراثنا وزارة الثقافة - المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر و دار الكتاب العربي - 1966.
48. لسان الدين بن الخطيب، ریحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، ت: محمد عبد الله عنان الناشر: مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع الطبعة:1، 1980 م
49. ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1994،
50. ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، تر: ذوقان قرقوط، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، (د.ت)،
51. محمد التميمي الفاسي (أبو عبد الله بن عبد الكريم)، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي ، ط1، 2002 ، ج1،
52. محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ت: معروف، بشار عواد ، تونس، دار الغرب الاسلامي، ط1 ، 2011.
53. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض العطار في خبر الأقطار، تح: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1984،
54. الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج2،
55. الونشريسي (أحمد بن يحي المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، بإشراف الدكتور محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، د.ط، 1981 ، ج3،
56. يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 1958، 3، ج1،

ثانيا : المراجع

1. إبراهيم أحمد العدوي، المجتمع المغربي، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط1970، 1،
2. إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، " المجتمع الذهنيات الأولياء"، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1993 ،
3. ابن أبي أصيبعة (أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، ط1981، 3، ج3،
4. ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972،
5. ابن أبي زرع، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972،
6. ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع ط 2001

قائمة المصادر والمراجع

7. ابن الحاج أبو عبد الله محمد التجيتي، النوازل الكتاب الأحكام"، مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 55 ج،
8. ابن الخطيب، اللحمة البدرية في الدولة النصرية، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1980 ،
9. ابن القاضي أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، د.ط، 1973 ، ج1،
10. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دمشق، دار البلخي، ط1، 2002، ج2،
11. ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، بيروت، 1968، ج3،
12. ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (دت) ج2،
13. ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مصر، مطبعة الفحامين، ط1، 1351 ،
14. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1980 ، ج2،
15. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 3، 1998، ج1،
16. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، بيروت، دار الثقافة، د. ط، 1960،
17. أحمد الدردير، الشرح الصغير على مختصره المسمى "أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك"، الجزائر، مؤسسة المنشورات الإسلامية، 1992، ج 1
18. أحمد أمين، ظهر الإسلام، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (دت)، ج3،
19. أحمد شبشون، منزلة العلم والتعليم بالأندلس من خلال رسالة مراتب العلوم لابن حزم"، الرياض، ندوة الأندلس، مكتبة الملك عبد العزيز، ط1996، 1 ،
20. أحمد فكري، قرطبة في العصر الوسيط، تاريخ وحضارة ، الإسكندرية، مؤسسة لشباب الجامعة، 1983،
21. احمد محمد زيتون: المسلمون في المغرب و الأندلس، (1990)،
22. أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت،
23. الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006،
24. الاصطخري، المسالك والممالك، بيروت، دار صادر، (د.ط)، 2004،
25. البكري أبي عبيد الله (ت. 987هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، يطلب من مكتبة المتنى ببغداد، (د.م)، (د.ت)،
26. البكري: المسالك و الممالك تح- جمال طلية، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2002، ج 2،.
27. بوزيان الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993،
28. البيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971،
29. جودة عبد الكريم يوسف:الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين ديوان المطبوعات الجامعية ،

قائمة المصادر والمراجع

30. جودة هلال، و محمد محمود صبح، قرطبة في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986،
31. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، إستنبول، 1941،
32. حسن مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، دار الرشاد، ط، 1418-1997م،
33. خالد بلعربي : الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، الجزائر، دار الألمعية للنشر والتوزيع، 2011،
34. خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان (633-681 هـ / 1235-1282م)، دراسة تاريخية وحضارية، المكتبة الوطنية، ط1، 2005،
35. زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، بيروت، منشورات المكتب التجاري، ط1969، 2،
36. سالم يفوت، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1986 ،
37. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط1979، 1،
38. سوزي حمود، الأندلس في العصر، منذ حملة طارق بن زياد إلى وفاة عبد الرحمان الثالث الناصر لدين الله، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، ط1 ، 1430 هـ 2009م،
39. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1982، 2،
40. شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، دمشق، منشورات دار الثقافة، دار الثقافة، د. ط، 1990،
41. شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995،
42. شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، بيروت، دار مكتبة الحياة، ط1، 1936، ج1،
43. الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 هم دار الهدى، 2004،
44. طه عبد الواحد ذنون ، دراسات في التاريخ الاندلسي ، الموصل، طبع بمطابع جامعة الموصل ، مديرية دار الكتب ، 1987 ،
45. الطوحي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1997،
46. عبادة عبد الرحمان كحيلة، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1995، 1،
47. عبد الإله بن مليح، ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، الرباط، طبع مطبعة النجاح الجديدة، منشورات الزمن، د. ط، د. ت،
48. عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائريين، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، 1991،
49. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ط2، 1385-1965 م، ج2،

قائمة المصادر والمراجع

50. عبد الرحمان علي حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دمشق، دار القلم، ط2، 1981،
51. عبد العزيز سالم، المساجد و القصور في الأندلس، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1986،
52. عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1982، ج 2،
53. عبد العزيز فيلاي بحوت في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، الجزائر، دار الهدى، 2014،
54. عبد العزيز فيلاي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس وبين دول المغرب، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط2، 1999،
55. عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2002، ج 1،
56. عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، القاهرة، مطبعة المدني، ط2، 1997،
57. عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ط، 1990 ، ج3،
58. عبد الملك الأنصاري المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، د ط 1965، سفر 8، القسم 1،
59. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2006 ،
60. عبد الواحد ذنون طه، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، طرابلس، دار المدار الإسلامي، ط1، 2004،
61. عثمان عبود، المهذب في مصطلح الحديث، الجزائر، القسم الثاني، مطبعة وزارة الشؤون الدينية، 1992،
62. عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1983،
63. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دار المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، د.ط،
64. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ط، 1999 ،
65. علي حسين الشطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001،
66. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997،
67. الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، مصر، مطبعة السعادة، د. ط، 1907،
68. الفريد البستاني، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1423، 1هـ. 2002م،

قائمة المصادر والمراجع

69. محمد بركات البيلي، طليطلة في عصر الإسلامي (92-477هـ، 716-1080)، القاهرة، دار النهضة العربية، 1993،
70. محمد بن حوقل البغدادي الموصلية، صورة الأرض، بيروت، دار صادر، 1938، ج2،
71. محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب، بحوث ونصوص، مطبعة المناهل، منشورات وزارة الثقافة، د.ط، 2006، ج1،
72. محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، دار الكتاب العربي، 1949،
73. محمد بن محمود بن النجار، الذرة الثمينة في أخبار المدينة، مكة، دار إحياء الكتب العربي، 1956، ج2،
74. محمد بو عياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974،
75. محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى بلاد المغرب خلال القرنين 16-17م، الدار البيضاء، دار إفريقيا الشرق، ط1998، 3،
76. محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، الإسكندرية، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، د.ط، 1990،
77. محمد سعيد العريان، الجمهورية العربية المتحدة، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ط، د.ت،
78. محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن 05 هـ / 11م، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، تونس، الدار التونسية للنشر، ط1984، 1،
79. محمد ولد داده، مفهوم الملك في المغرب من الفتح حتى انتصاف القرن السابع الهجري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ط، 1977،
80. مريم قاسم طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (403هـ-483هـ / 1012م-1090م)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1994، 1،
81. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1911،
82. ناصر الدين سعيدوني، التجربة الأندلسية بالجزائر، "ندوة الأندلس"، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز، ط1996، 1،
83. يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، مطبعة، بيبير فونطانة الشرقية، 1908 م، ج 1،

ثالثا: رسائل ومذكرات :

1. إبراهيم بلحسن، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7 إلى 10هـ / 13 إلى 16م، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان، 2004،
2. خديجة بورملة، التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في البحر المتوسط من القرن السادس إلى التاسع الهجري 12-15م أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران 1، 2017/2018م،

قائمة المصادر والمراجع

3. صادق خشاب، تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغاربي، نموذج تلمسان، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان، 2001،
4. عبد الغني حروز، الحياة العلمية في قلعة بني حماد، رسالة ماجستير ، بوزريعة، الجزائر، السنة الجامعية 2010-2011،
5. كريمان كحلال حكيمة حدار، العلاقات الخارجية للدولة الحمادية 408-108/547-1152م، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 1435- 1436 / 2014-2015م،
6. لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004-2005
7. مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2005،
8. محمد بوشقيف، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 9هـ/15م، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران 2003-2004،

رابعاً: المجلات

1. بلخير، العلاقات السياسية بين الدولة الرستمية و دول المغرب خلال القرن الثالث الهجري التاسع ميلادي، مجلة المقتطف المصري التاريخي، العدد 5 جويلية، 2016،
2. حسين مؤنس، "غرناطة تحفة من تحف الفن و عجيبة من عجائب التاريخ"، مجلة العربي، العدد 89، الكويت،
3. حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، العدد 1، مجلد 2، القاهرة، 1949،
4. عبد الحميد حاجيات، "الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان"، مجلة الأصالة، العدد 26، جويلية أوت 1975،
5. محمد عبد الله عنان جغرافية الأندلس ، والمصطلحات الجغرافية الأندلسية ، مجلة .
6. موسى لقبال، "الحلف بين أهل السنة والنكارية في القرن 4هـ/10م وأثره في تطور أوضاع مدن إفريقية والزاب والحضنة والأوراس"، مجلة الأصالة، العدد 60-61، السنة السابعة، 1978،
7. ناصر الدين سعيدوني، الجالية الأندلسية بالجزائر، مقال مجلة أوراق، مدريد، عدد44، سنة 1981،

الفهرس

فهرس المحتويات

III	شكر وتقدير
IV	اهداء
أ	مقدمة
4	الفصل الأول: الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط والأندلس ما بين القرنين 02 - 09 هـ/15-08م ...
5	أولا : أصل التسمية والتحديد الجغرافي للإقليمين
5	1- أصل التسمية والتحديد الجغرافي للمغرب الأوسط
5	أ- أصل تسمية المغرب الأوسط.....
6	ب-التحديد الجغرافي للمغرب الأوسط
7	2- صل التسمية والتحديد الجغرافي للأندلس
7	أ- أصل تسمية الأندلس
8	ب- التحديد الجغرافي الأندلس
9	ثانيا : الوضع السياسي للمغرب الوسط ما بين القرنين 02 - 09 هـ/15-08م
10	1- الدولة الرستمية:
10	2- المغرب الأوسط في عهد الدولة العبيدية:
12	3- المغرب الأوسط في عهد الدولة الصنهاجية(الزيرية):
14	4- الدولة الحمادية:
15	5- المغرب الأوسط في عهد دولة المرابطين:
17	6- المغرب الأوسط في عهد الدولة الموحدية:
21	7- الدولة الزيانية:
25	ثالثا: الوضع السياسي للأندلس ما بين القرنين 02 - 09 هـ/15-08م
27	الفصل الثاني : العلاقات الاقتصادية والعلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس
28	أولا : العلاقات الاقتصادية بين المغرب الأوسط و الأندلس
28	1: دور الموانئ في تنشيط الحركة التجارية بين المغرب الأوسط والأندلس:
32	1-مجال الرعي:
33	2- المجال الصناعي:
34	ثانيا : العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الاندلس
34	أ-: التأثير الأندلسي في المغرب الأوسط
34	1. في المجال العلمي:
37	2. في المجال الفني:
37	1-2. المعمار:

فهرس المحتويات

40	2-2. الغناء والموسيقى:
41	3. في الحياة الاجتماعية والاقتصادية:
42	ب-: التبادل العلمي
42	1. المراسلات العلمية وتبادل المصنفات:
44	2. المراسلات الإخوانية:
47	ج-: حركة العلماء بين المغرب الأوسط والأندلس
47	1. دوافعها:
47	1-1. طلب العلم و الإجازة :
48	2-1. رحلة الحج:
50	3-1. أسباب أخرى:
51	2. دور العلماء في العلاقات الثقافية :
53	ثالثا : العلاقات الدينية بين المغرب الأوسط و الاندلس
53	أ-التسامح المذهبي
54	ب- الوحدة المذهبية (المذهب المالكي بالمغرب الأوسط و الأندلس)
60	الفصل الثالث: العلاقات السياسية و العلاقات الاجتماعية و الهجرة بين المغرب الأوسط و الاندلس ...
61	اولا : العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط و الأندلس
66	ثانيا : العلاقات الاجتماعية بين المغرب الأوسط و الاندلس
67	1-التركيبة الاجتماعية لبلاد المغرب
68	2-التركيبة الاجتماعية للأندلس
86	ثالثا : الهجرة الأندلسية اتجاه المغرب الأوسط
94	الخاتمة
97	قائمة المصادر والمراجع
107	الفهرس
110	ملخص الدراسة :

ملخص الدراسة :

تتضمن هذه المذكرة دراسة العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط والأندلس ما بين القرنين 02-09 هـ. 08-15 م، حيث طرحنا الاشكالية التالية : ما طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية التي جمعت الطرفين؟.

واعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي وذلك بتتبع المراحل التاريخية التي مرت بها العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط و الأندلس .

وتطرقنا الى العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والدينية في كل من المغرب الأوسط والاندلس خلال الفترة المذكورة ، وتناولنا مشاهير الحكام وعلماء القطريين ، مع ابراز دورهم في كل المجالات .

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط - الأندلس - الدولة الرستمية- الدولة العبيدية-

الدولة الصنهاجية- الدولة الحمادية- دولة المرابطين- الدولة الموحدية- الدولة الزيانية.

summary:

This mémorandum includes a study of the civilized relations between the Central Maghreb and Andalusia between the two centuries 09-02 AH. 08-15 AD, where we posed the following problem: What is the nature of the political, economic, cultural and religious relations that brought together the two parties?

In our study, we relied on the historical method by tracing the historical stages through which the civilized relations passed between the Central Maghreb and Andalusia.

We touched on the political, economic, cultural, social and religious relations in the Central Maghreb and Andalusia during the mentioned period, and we discussed the famous Qatari rulers and scholars, highlighting their role in all fields.

Keywords: the Central Maghreb - Andalusia - the Rustamiya state - the Ubaid state - the Sinhaji state - the Hammadid state - the Almoravid state - the Almohad state - the Zayanite state.

Résumé:

Ce mémoire comprend une étude des relations civilisées entre le Maghreb central et l'Andalousie entre les deux siècles 09-02 AH. 08-15 après J.-C., où nous avons posé le problème suivant : Quelle est la nature des relations politiques, économiques, culturelles et religieuses qui unissent les deux parties ?

Dans notre étude, nous nous sommes appuyés sur la méthode historique en retraçant les étapes historiques par lesquelles sont passées les relations civilisées entre le Moyen Murghab et l'Andalousie.

Nous avons abordé les relations politiques, économiques, culturelles, sociales et religieuses au Maghreb moyen et en Andalousie au cours de la période mentionnée, et nous avons discuté des célèbres dirigeants et érudits qatariens, en soulignant leur rôle dans tous les domaines.

Mots clés : e Maghreb central - Andalousie - l'état Rustamiya - l'état Ubaid - l'état sinhaji - l'état hammadide - l'état almoravide - l'état almohade - l'état zayanite.